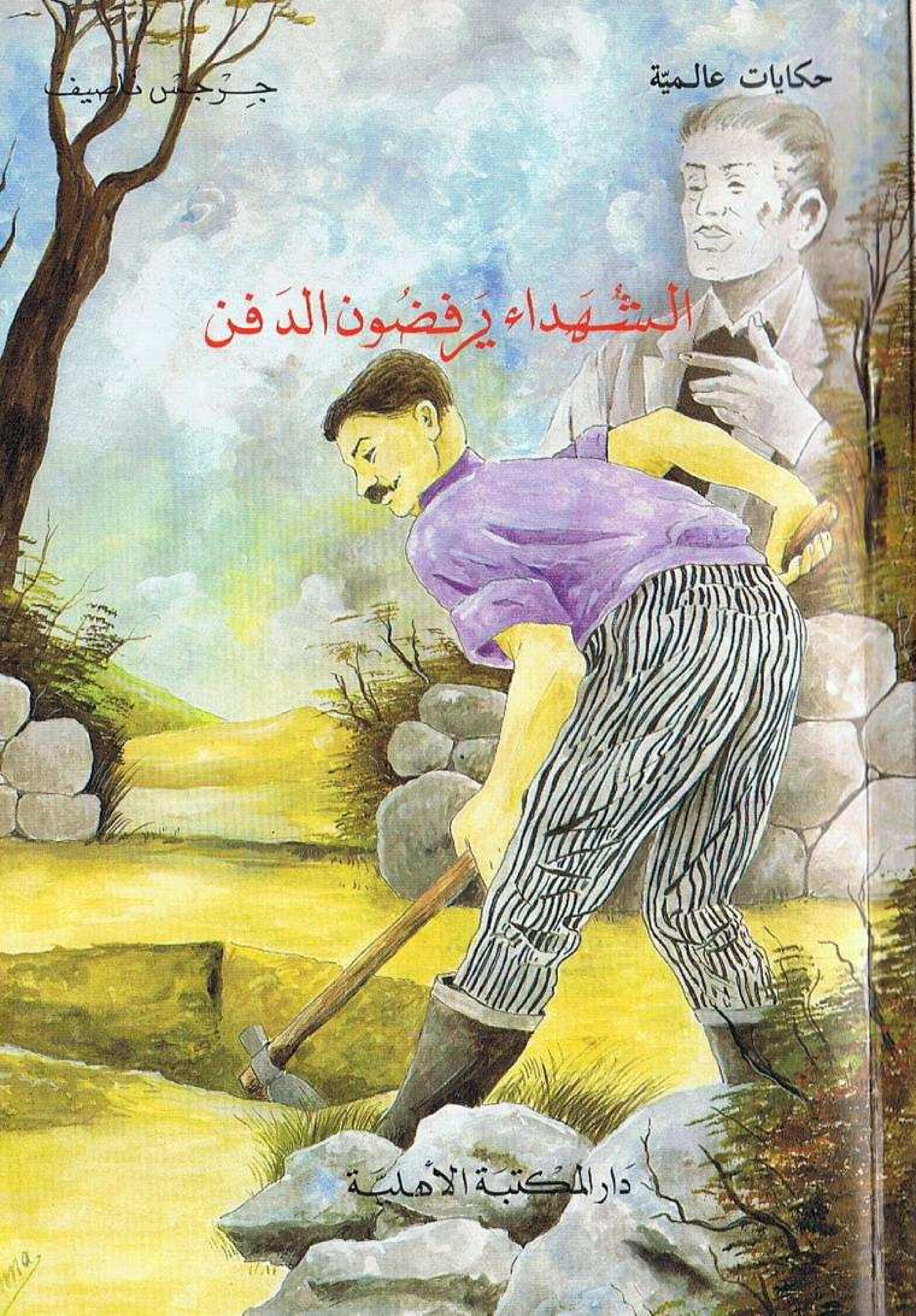
حكايات عالميّة

جِرجس ناصيف

الشُهَداء يَرفُضون الدَفن



دار المكتبة الأهليّة

الشهداء يرفضون الدّفن



دار المكتبة الأهلية

حكايات عالميّة

تأليف

جرجس ناصيف

الناشر

دار المكتبة الأهلية

الطباعة

المطابع الأهلية الحديثة

تلفون : ٠٩/٩٠٣٩٠١

الرسوم اليدوية

جوزيف مهنّا

توزيع

دار المكتبة الأهلية

تلفون: الزوق : ٠٩/٢١٤١٤٤

٠٩/٢١٤١٤٥

فاكس : ٠٩/٢١٣٤٩٩

الدكوانة: ٠١/٤٩٥٠٦٥

خليوي : ٠٣/٢١٧٨٩٧

توطِئة

عزيزي الطالب

هذه الحكاياتُ عمرُها مئاتُ السنين ، روَتْها شعوبٌ مختلفة ، في أنحاءِ العالمِ قاطبةً . وقدسَمِعها أو قرأها أو شاهدها على الشاشاتِ الكبيرةِ والصغيرةِ ملايينُ الناس .

وقد أعاد الكاتبُ تأليفَها على مزاجِه ، وجعلَها قريبةً من أجواءِ بلادِنا .

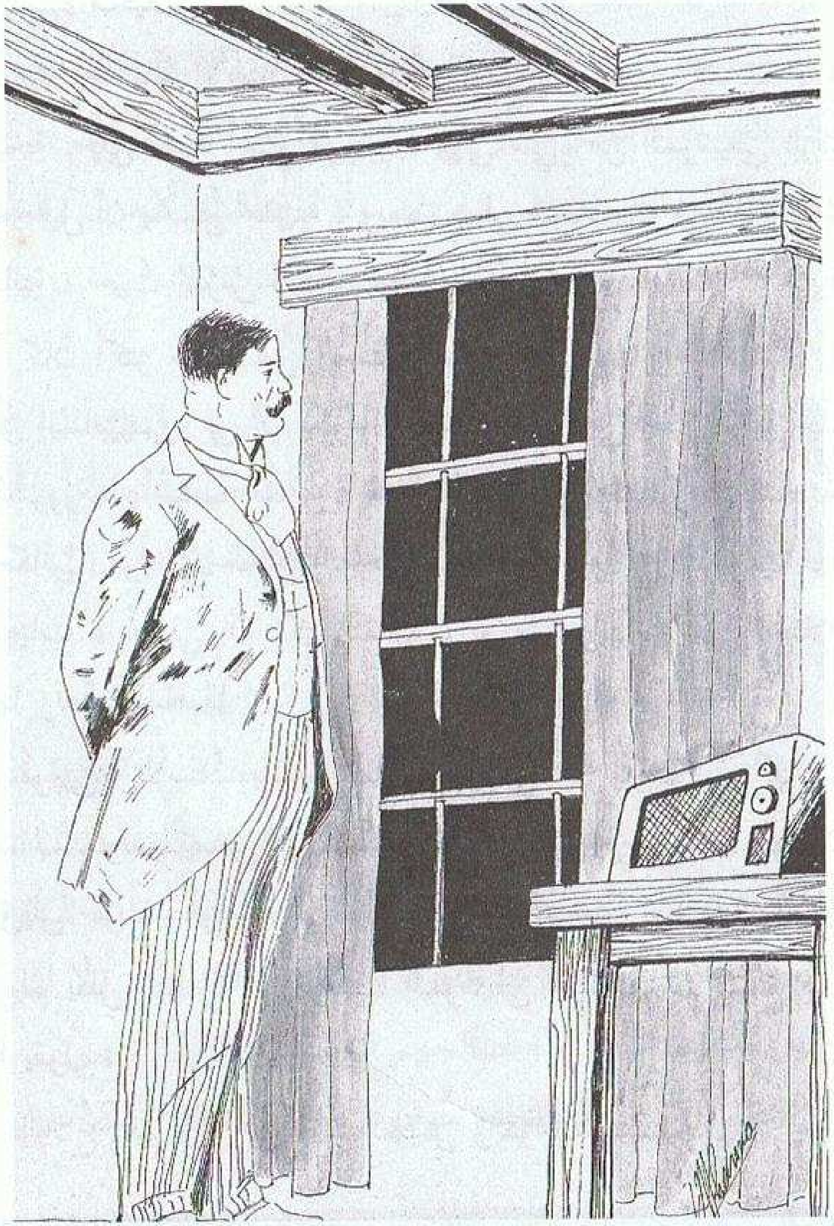
ونصيحتي إليك ، حتى تجنيَ منها مَزيدًا من المُتعة والفائدةِ معًا ، أن تبحثَ بنفسِكَ في القاموسِ عن معاني المُفْرداتِ الصعبَـةِ ، وتقتنيَ دَفترًا مقسّمًا على حروفِ الألِفْباءِ فتنقلَ تلكَ المفرداتِ والمعاني إليه حتى يصيرَ بين يديك قاموسٌ خاصٌ بك .

ونصيحتي أيضًا ان تنقلَ الى دفتر آخرَ أجملَ العباراتِ التي تَلْفِتُك ، وتسمّيَ الدفترَ «التعابير الجميلة» مِن مِثْل «شجرة وارفةُ الظلّ» ، «هذه الحديقةُ جنّةٌ غنّاء» ؛ أَو مقاطعَ أجاد الكاتبُ فيها ...

وقد أَلحقْنا بكلِّ حكايةٍ ثلاثة أنواعٍ من التمارين ، الأوّلُ يُسْعِفك على فهم النصّ والإفادة منه لغةً وإنشاءً ، والثاني ينشّط لديك الرغبة في الابتكار ، تفكيرًا وخيالًا وكتابة والثالث يمكّن مَلَكَة اللُّغة عندك ...

وشكرًا

الشُهَداء يَرفضُون الدَفن



إنّها موسيقى تُثيرُ الأعصابَ .. فيمَ هذهِ الموسيقى ؟ أيكونُ في الأمرِ شيءٌ مُخيفٌ ؟

هذا ما قالَهُ الأستاذُ وقد فتحَ المِذياعَ ليستمعَ كعادتِه ، في الصّبيحةِ ، إلى نَشرةِ أخبارٍ مُوجزةٍ ، وإلى شيءٍ منَ الموسيقى الرّقيقةِ النّاعمةِ قبلَ أن يحمِلَ حقيبتَه ، ويمضي إلى مُحاضراتِهِ في كُليّةِ العلومِ الإنسانيّةِ ، حيثُ يُدرِّسُ الآدابَ والفلسفةَ .

كانَ أكثرَ ما يَشغَلُ الأستاذَ أمورُ الشّبابِ ، وأحلامُهم ، في تحقيقِ إنسانيّتِهم ، في أن يكونوا أعضاءَ نافعينَ في أسرةٍ دَوْليةٍ خَلَتْ من الشّرورِ ، وأسبابِ الشّرور، قانونُها العَدالةُ ، ودُستورُها المَحبّةُ . هذه كانَتْ مواضيعُ محاضراتِهِ في الجامعةِ ، أو في النّدواتِ ، أو الجمعيّاتِ ، أو في المراكزِ الثّقافيةِ ، أو مؤتمراتِها ، على اختلافِ أنواعِها وتَعدُّدِ مذاهبِها .

فُوجِئَ الأستاذُ بهذهِ الموسيقى التي لا يُحبُّها ، إنّها تُثيرُ الأعصابَ . وقف يُصغي إلى المِذياعِ ، وهو يقولُ في نفسِهِ : إنّها أشبهُ بدَعوةٍ إلى حربٍ ، أيكونُ شيءٌ من هذا ؟ العالم على حافّتِها الملعونةِ .

لم يطُلِ انتظارُهُ ... توقّفَتِ الموسيقى قليلًا .. ثمَّ سَمِعَ صوتًا متوتّرًا يقولُ :

البلاغُ رقم «١» عن قائدِ الجيشِ والقوّاتِ المسلّحةِ.

الأُمّةُ مَدعوّةٌ إلى أداءِ الواجبِ ..

الشّبابُ خُلِقوا لحمايةِ الوطنِ ..

الجميع ما بين الثامنةَ عشْرةَ والأربعينَ مَدْعُوُّونَ للالتحاقِ بأقربِ الثُّكَنِ العسكريّةِ إليهم .. أو إلى مَراكزِ الشُّرطةِ القريبةِ منهُم .

لِيَتَوَقَّفِ المسافرُ عن سَفَرِهِ .. ولْيَرمِ الطّالبُ كُتُبَه .. والعاملُ .. فلْيُرِحْ نفسَهُ .. والفُرصةُ أمامَ الجميعِ يومانِ :

يومُنا هذا ويومُ الغدِ .

هيّا يا أبناءَ الوطنِ .. أيُّها الشّبابُ .. اليومَ يومُ الرِّجال، تلك ، والله ، ساعةُ الامتحانِ .. امتحانُ البُطولةِ.. امتحانُ الشّجاعةِ .. امتحانُ المُروءة .. امتحانُ الوطنيّةِ .. والمتخلّفونَ سيُحالونَ إلى محاكمَ حربيّةٍ .

ثمَّ عادَ المِذياعُ إلى بَثِّ الموسيقى الحربيّةِ نفسِها .

وقفَ الأستاذُ ذاهلًا .. إنّها إذًا الحربُ .. الّتي أكرَهُها ..

يبدو أنّ جيوبَهم لم تعُدْ متخمةً .. فَلْتُتْخَمْ إذًا .. لَعْنَةُ الله على تُجّارِ الحروبِ .. إنّهم لا يَشبَعُونَ . إنّهم لا ينفكّونَ يَنقلُونَ البشريّةَ من حربٍ إلى أخرى .. إنّهم يَصْطنِعونَ هذا الدّمارَ البَشريَّ .. لا لشيءٍ إلّا لِتحقيقِ مآربِهم الدّنيّةِ ، ومصالحِهم الخَسيسةِ .

انتقلَ الأستاذُ إلى نافذةِ غُرفتِهِ يُراقِبُ الشّارعَ .. إنّه خالٍ ، أو

يكادُ ، إلّا من عَرباتٍ قليلةٍ كأنَّها في سُرعتِها تُسابِقُ القَدَرَ الّذي لا يُسْبَقُ ، وبعضِ الرّجالِ والنّسوةِ المُسرعينَ على الأرصفةِ .

لم يكُنِ الشّارعُ كذلكَ قبلَ اليومِ .

اتّصلَ الأستاذُ بزُملائِهِ من خلالِ جِهازِ الهاتفِ .. فما كانوا أقلَّ منهُ اندهاشًا ، ولا أكثرَ منه عِلمًا .

إذًا .. فَلْيُؤَهِّبْ نفسَه للالتحاقِ بأقربِ مَركَزٍ عَسْكريٍّ دعَتْ إليهِ السُّلطةُ .

الأستاذُ مُنشغِلٌ بالُه بأمرِ الشّبابِ الّذينَ كانَ يُهيِّئُهم ويُعِدُّهم لحياةٍ إنسانيّةٍ خيِّرةٍ ..

ماذا سيقولُ عنهُ تلامذتُهُ ؟ هل يقولونَ :

رَحِمَ اللهُ أستاذَنا وإنسانيّتَه .. هل يبعَثُ رُسُلَ إنسانيّتِهِ لِتُوقِفَ هذهِ الحَربَ .. لتمنَعَ عنّا الموتَ .. لتحميَ أُسَرَنا من الثُّكلِ والحُزنِ والألَمِ .. لتضَعَ حَدًّا لصانعي هذهِ الحَربِ ؟ هل تستطيعُ إنسانيّتُهُ أن تحمِلَ البُندقيّةَ ؟

هيّا ، يا أستاذَنا ، فلتفعَلْ انسانيّتُكَ شيئًا .

تألّمَ الأستاذُ .. تألّمَ كثيرًا .. إذًا كان يُحاضِرُ في الهواءِ .. وكانَ يكتُبُ للفراغِ ـ هكذا كانَ يُفكّرُ .. تلكَ هي الخواطرُ في رأسِهِ ـ الفُرصةُ للالتحاقِ بالمراكزِ العسكريّةِ يومانِ : اليومَ وغدًا .. قرّرَ أن

يجعَلَ التحاقَه يومَ غدٍ .. أمضى نهارَهُ يَذْرَعُ غُرفتَه جيئةً وذَهابًا ، لا يكادُ يقَعُ على فِكْرَةٍ حتى تَهْرُبَ منهُ وتَدخُلَ على الخَطِّ فِكرةٌ أخرى .. إنه شَتيتُ أفكارٍ وزِحامُ خواطِرَ ، كأنّما هي أضغاثُ أحلامٍ .

جاءَ المساءُ .. وما زالَ المِذياعُ يبُثُّ الموسيقى والبلاغاتِ الحربيّةَ الّتي لم تَرُقْ للأستاذِ ، ولم تَزِدْ أفكارَهُ وخواطِرَهُ إلّا بَلْبَلَةً .

ساءَهُ أن يَبقى في هذا الاضطرابِ ، وهو العاجزُ عن فِعْلِ شيءٍ ، الأسيادُ يُخطِّطُونَ ، وما على العبيدِ إلّا التّنفيذُ .. إذًا فخيرٌ لهُ أن يقطَعَ ما بقِيَ من الوَقْتِ بالنّومِ .. رمى نفسَه على سريرِهِ .. تقلّبَ فيهِ من اليمينِ إلى اليسارِ ، ومن اليسارِ إلى اليمينِ ، تارةً على بَطنِهِ وطَوْرًا على ظَهرِهِ.. كلُّ هذا لم يُفِدْهُ ، فالقَلَقُ أقوى من النّومِ ..

يبدو أنَّ النّومَ قد التحقَ بثُكْنةٍ عَسكريةٍ وسبَقَهُ إلى الحربِ ـ قالَ الأُستاذُ في سريرتِهِ ـ ولكن لا بأسَ سألحَقُ بهِ ، ولا بُدَّ مِنْ أن أجِدَهُ هناكَ وأُحاسبَهُ . ومضى الأُستاذُ يركُضُ خلفَ النومِ ليلْحَقَ بهِ ويحاسِبَهُ ، لحِقَ الأُستاذُ بالنّومِ ، فوجدَهُ هناكَ حيثُ المعاركُ مُحتدِمةٌ .. إلّا أنّه لم يَجِدْهُ وحدَهُ ، وجَدَهُ مع كوكبةٍ ، وبيدِ كلِّ واحدٍ منهُم مِجرَفةٌ أو مِعولٌ .

أُفٍّ ! رائحةٌ كريهةٌ .. رائحةُ جُثّةٍ مُنتنةٍ ـ قالَ الأستاذُ في سِرِّهِ ـ أرادَ أن يبتعدَ ، فابتعَدَ ، ولكنّ الرائحةَ تُلاحِقُهُ .. ثمّ تعوَّدَها فلم يَعُدْ

يُحِسُّ بها .

قالَ الأستاذُ :

مَرحبًا أيّها الجنودُ الشّبابُ ، لماذا تَحفِرونَ هكذا ؟ ولأيِّ غَرَضٍ هذهِ الحُفرةُ الكبيرةُ ؟

قالَ النّومُ ، وكانَ بيدِهِ مِجرفةٌ :

أَلَحِقْتَ بي إلى هنا .. هذا ما كُنْتُ أريدُهُ .. إذًا إليكَ هذهِ المِجرفةَ واحفِرْ عنّي قليلًا فقد تَعِبْتُ .

قالَ الأستاذُ ، وقد أخذَ المِجرفةَ من يدِ النّومِ :

ولكنّكَ لم تُخبِرْني : لِمَ هذهِ الحُفرةُ ؟

قالَ النّومُ :

أتكونُ أعمى .. ؟ انظُرْ ـ وأشارَ إلى جُثَثِ جُنودٍ مَرميّةٍ جانبًا ـ أما ترى هذه الجُثَثَ .. أليس من حَقِّها علينا أن تدفِنَها ؟

قالَ الأُستاذُ :

إذًا فالرّائحةُ التي شَمَمْتُها كانَتْ منها . ولكنْ لماذا سبقْتَني إلى هنا ؟ ألم يَكُنْ من حقِّ عُشرتِنا الطّويلةِ أن تَصْطحِبَني معَكَ ؟

قالَ النّومُ :

تركْتُكَ مع عشيرٍ أعزَّ وأَحَبَّ .. تَرَكْتُكَ مع أفكارِكَ الإنسانيّةِ ، كيفَ طلّقْتَها وجِئْتَ إلى هُنا ، إلى الحَرْبِ ، إلى دَمارِ الإنسانيّةِ ؟

أَتُرى أصبحْتَ من صانِعي الحروبِ ؟ من أعداءِ الإنسانِ ؟ كيفَ ... ؟

قالَ الأُستاذُ :

دَعْكَ من كَثرةِ الكلامِ .. وهَيّا عَجِّلْ لنَدْفِنَ هؤلاءِ الموتى ، فرائحتُهم تُزْكِمُ الأُنوفَ ... ومن حَقِّهِم علينا أن نَدْفِنَهم .. وإلّا عكّروا الجَوَّ علينا وعلى الآخرين .

قالَ الرّقيبُ الّذي كان يُشرِفُ على عَمليّةِ الدَّفنِ :

أرى هذا الجُنديَّ الجديدَ نشيطًا .. هيّا كونوا مِثلَه .. ألم تَصِلُوا بَعْدُ إلى عُمْقِ «مترٍ» ونصفٍ ؟ إنّه حَقُّ الموتى من هذهِ الأرضِ .. ولا يَصِحُّ أن نَظْلِمَهم في حقوقِهِمْ .

قال أحَدُ الجنودِ :

أعطِني «المتر» لنَقِيسَ ..

أخرَجَ الرّقيبُ من جَيبِهِ شريطًا مُرَقّمًا وأعطاهُ الجُنْدِيَّ ، وقالَ :

قِسِ العُمْقَ جيّدًا .. إنّنا لا نُريدُ أن نَظْلِمَ أَحَدًا .. حَقُّ الجُنديِّ عندَنا حَقٌّ إنسانيٌّ مُقَدَّسٌ .. لا يصِحُّ التّهاوُنُ فيهِ .

قالَ الجُنْدِيُّ ، وقد قاسَ العُمْقَ :

لم يَبْقَ لهم أكثرُ من خمسةِ «سنتمتراتٍ» .

قالَ الرّقيبُ :

حَسَنٌ ! حسَنٌ .. أكملوا الحَفْرَ .. هذا حقُّهُمْ .

راحَ أحدُ الجنودِ يُدَنْدِنُ بأُغنيةٍ لطيفةٍ .

قالَ الرّقيبُ :

كأنَّكَ تتنَزّهُ في حقلِ أزهارٍ وحولَكَ جَوْقاتُ العصافيرِ .

قال جُنديٌّ آخَرُ :

على وَقعِ أصواتِ المَدافعِ وروائحِ الجُثَثِ العِطريّةِ، تَراءَتْ له عيونُ الحبيبةِ وتَهويماتُ شَعْرِها مَعَ أنْسامِ المساءِ العليلةِ ، فطابَ له اللقاءُ فغنّى .

قالَ جُنْديٌّ ثالثٌ :

دَعُونا من هذا كُلِّهِ ، يا شبابُ .. وهاتُوا شَريطَ القياسِ ، لنقيسَ عُمْقَ هذهِ الحُفْرةِ . أرى أنَّنا قد انتهَيْنا ..

قاسَ الجُنْدِيُّ العُمْقَ فوجدَهُ كما يحسُنُ أن يكونَ ، فرمى مِجرفتَهُ بعيدًا وقالَ :

الآنَ قد ارتحْنا ، وحانَ لهذهِ الجُثَثِ أن تستريحَ في مأواها الأخيرِ .

قالَ جُنديٌّ رابعٌ :

أخشى أن تأتيَ قذائفُ المدافعِ وترفَعَ التُّرابَ عنهم فتُعَكِّرَ عليهم مِزاجَهُمْ .

قالَ الرّقيبُ :

لا عليكَ أيُّها الفارسُ .. قُمْ بواجبِكَ ، ودَعِ الأمورَ تَجري بعيدًا عن مَسْؤُوليّتِكَ . والآنَ هيّا أيُّها البواسلُ ، انقُلوا هؤلاءِ الشُّهداءَ ، واحدًا واحدًا ، ورَتِّبوهُمْ كما جاءَتْ أسماؤُهم في سِجلّاتِ الشّهداءِ ، ودَعوا صغائِرَ النُّحاسِ الحاملةَ لِأسمائِهِمْ في رِقابِهِمْ ، حتى إذا انتهَتِ الحَرْبُ ، وأرادُوا نَقْلَهم إلى أرضِ الوطنِ الكريمِ ، إلى أَرضِهِم العظيمةِ ، عَرَفُوا عِظامَ كُلِّ شهيدٍ ، فسَلَّمُوها إلى أهلِهِ ، أو دَفنوها في مقابرِ الشُّهداءِ .

خَرَجَ الجنودُ مِنَ الحُفرةِ ، وجاؤُوا بالجُثثِ إليها ، ووَضَعُوها فيها الواحدةَ إلى جانبِ الأُخرى ـ كُلُّ شيءٍ بنظامٍ . قالَ أحدُ الجنودِ :

هذا أَفضلُ ، فربّما خَطَرَ لَهُمْ في يومٍ أن ينهَضُوا لتحيّةِ العَلَمِ .

ضحِكَ الآخرونَ . وضَحِكَ النّومُ ، وقالَ :

سأنامُ معَهُم .. لن أغادِرَهُم .. ولهذا لن ينهَضُوا ليُحيّوا العَلَمَ أو ليُؤَدُّوا رِياضةَ الصّباحِ .

قال الأستاذُ :

ولكنَّكَ نومي ، وستبقى معي .. وإلّا ، فقدْتُ النومَ ..

قال النّومُ ، وهو يُعاوِنُ أحدَ الجنودِ على نَقلِ إحدى الجُثَثِ إلى الحُفْرةِ :

في المعركةِ لا يكونُ هذا لكَ وذاكَ لغيرِكَ .. كلُّ شيءٍ يَكونُ للمعركة .. ثمَّ لا تخشَى ، ستنامُ معَنا هنا .

قالَ الأستاذُ :

كيفَ أنامُ هنا .. سأعودُ عندَ نهايةِ الحَربِ لأُحاضِرَ في طُلّابي .

قالَ النَّومُ :

خيرٌ لكَ أن تُحاضِرَ هُنا .. الجميعُ سيكونونَ هُنا .. لن يتخلَّفَ طالبٌ جامعيٌّ .. انتظِرْ قليلًا ، وسترى الجميعَ مُقبلينَ .

صاحَ النَّقيبُ :

كُفَّا عن هذا الجدَلِ ، هيّا أَنْهُوا مَهمَّتَنا .

أسرعَ الجنودُ جميعُهم في العَمَلِ .. وصارَتِ الجُثَثُ جميعُها في الحُفْرةِ .

وخَرَجَ الجُنودُ ليَهيلُوا التُّرابَ عليها .

صاحَ أَحَدُ الجُنودِ :

إِنّي أسمَعُ صَوْتًا يَنبعِثُ من الحُفرةِ .. تَمهَّلُوا .. لا تُلقُوا التُّرابَ عليهم .. قد يكونُ أحدُهُم حيًّا .

يتّضِحُ الصّوتُ ، وتقِفُ إحدى الجُثَثِ وثانيةٌ وثالثةٌ ..

أصبحتِ الجُثَثُ السّتُّ واقفةً .

قالَتْ واحدةٌ منهنَّ :

نحنُ لا نُريدُ أن نُدْفَنَ .

خَشِيَ الجنودُ ممّا سمِعوا وممّا رأَوْا .

قالَ الأستاذُ :

لا تَخشَوْا ، إنَّهم أحياءٌ ..

قالَ الرّقيبُ :

ولكن مضى على استشهادِهم ثلاثةُ أيّامٍ .. أَما شمَمْتَ رَوائِحَهم المُنْتِنةَ ؟

قالَ الأستاذُ :

بلى ! شَمَمْتُها ، ولكن ، أَمَا تَراهم واقفينَ يتَكلّمونَ ؟

فأجابَهُ الرّقيبُ :

هذا ما يُخيفُنا : لا بُدَّ أنّ أرواحَ الشّياطينِ تَلَبَّسَتْهُم .

فقالَ أحدُ الجنودِ يُخاطِبُ ، أحدَ الشُّهداءِ ، وهو يتراجعُ إلى الوراء :

مَنْ أنتم .. أَلَسْتُمُ الشُّهداءَ الّذينَ سَقَطُوا في المعركةِ ؟ ألسْتُم أمواتًا ؟

أجابَتْ واحدةٌ من الجُثَثِ :

بلى ! نحنُ مَن يسمُّوننا الشُّهداءَ ، وكُنّا بالأمسِ الرِّفاقَ ، رفاقَ السِّلاحِ .

وقالَتْ جُثّةٌ ثانيةٌ :

أَضْحكتموني .. إنّ مُصطَلَحَ الشّهداءِ لا يُعْجِبُني، لأنَّهُ كِذْبةٌ ابتدعَها مُشعِلُو هذهِ الحربِ والمستفيدونَ منها.

قالَ الأستاذُ ، وقد أعجبَتْهُ الفِكرةُ :

إذًا : مَن هو الشّهيدُ ، أيُّها الجُنديُّ الشُّجاعُ ؟ ومَنْ أولئكَ الذين تتحدَّثُ عنهُمْ ؟

قالَ الجُنْدِيُّ الميتُ :

الشّهيدُ ، أيُّها الأستاذُ ، كما قرَأْنا في مقالاتِكَ التي كنْتَ تنشرُها ، هو مَن يَتطوَّعُ ، راغبًا ، للدِّفاعِ عن وطنِهِ ، أو عن عقيدةٍ إنسانيّةٍ يؤمِنُ بها !

وليس الشّهيدُ مَنْ يُجَرُّ جرًّا ، فيُقْتَلَ في معركةٍ لا يُؤْمِنُ بعدالتِها ، وهو يَعْرِفُ سَلَفًا أنّ المعركةَ اصطُنِعَتْ لتُلبي حاجةَ جماعةٍ من الأثرياءِ الطّامعينَ بثَراءٍ أكثرَ ، أو لتَلبيةِ حاجةِ بعضِ المَهْوُوسينَ بداءِ العظَمةِ والسّلطةِ الواسعةِ ، المُتَرَبِّعينَ على عروشِ مجدِهم في بيوتِ الدّولةِ العُليا ، أم تُراكَ نَسيتَ أيُّها الأستاذُ ؟ !

قالَ الأستاذُ :

إذًا ، كُنتَ تَقرَأُ مقالاتي ؟

قالَ الجُنديُّ :

أجل ، كُنْتُ أقرَأُها .. ولكن : قُل لي ، بربِّكَ ، ماذا نَفَعَتْني ؟

غضِبَ الرّقيبُ وقال صارخًا :

فيمَ هذا الجَدَلُ ؟ أنحنُ في مجلِسِ محاضرةٍ أم هنا في المعركةِ نقومُ بدَفْنِ هؤلاءِ الموتى ؟ عَفْوًا أريدُ أن أقولَ «الشُّهداء» .

قالَتْ جُثّةٌ ثانيةٌ :

لا عليكَ يا حضرةَ الرَّقيبِ ، الأمرُ ليس مُختلفًا كثيرًا ، قُلِ «الموتى» ، قُلِ «الشُّهداء» ، قل ما شئتَ ، الأمرُ لا يختلفُ كثيرًا ، ولكن نحنُ نُريدُ أن نُدْفَنَ .

قالَ الرّقيبُ : ولكنْ من حَقِّ الميتِ أن يُدْفَنَ ، ومن واجبِ الأحياءِ أن يَدفِنُوهُ .

قالَتْ جُثّةٌ ثالثةٌ :

من حَقِّ الميتِ أن يُدفَنَ ، ولكن إذا كانَ لا يُعارِضُ ذلكَ ، ثمَّ مَنْ همُ الأحياءُ ؟ أنتم ؟ وضحِكَتِ الجُثّةُ ضِحكةً ساخرةً .

قالَ الرّقيبُ :

إذًا ما تُريدونَ ؟

قالَتْ جُثّةٌ رابعةٌ :

نحن لا نُريدُ أن نموتَ في أرضٍ غريبةٍ بعيدًا عن وطنِنا .

وقالَتْ خامسةٌ :

نُريدُ أن نعودَ إلى أهلِنا لنعيشَ مع أولئكَ الميّتينَ .

قالَ الرّقيبُ :

أهلُكَ الميّتونَ ؟

أجابَتِ الجُثّةُ الرابعةُ :

أجل أهلي الميّتون ، ومثلُهم أهلُكَ ، ومِثلُنا حَضرَتُكَ ؟ أم أنّكَ تَحْسَبُ هؤلاءِ النّاسَ من أمثالِنا أحياءً ؟ إن كُنْتَ لا تُصدِّقُ ، فاسألْ هذا الأُستاذَ ، فهو يخبِرُكَ الحقيقةَ التي تجهَلُها .

التفَتَ الرّقيبُ إلى الجُنديِّ الأستاذِ وقالَ :

ماذا يقولُ هذا ؟

قالَ الأُستاذُ :

نعم ، إنّه يقولُ الحقيقةَ .. ولكنْ أُريدُ أن أسألَ هؤلاءِ ، وأشارَ بيدِهِ نحو الجُثَثِ :

ماذا ستَفْعلونَ هناكَ مع أولئكَ الأمواتِ الآخرينَ ؟

فأجابَتِ الجُثثُ ، جميعًا ، وبصوتٍ واحدٍ :

نريدُ أنْ نُعَلِّمَ أولئكَ الميّتينَ كيف تكونُ الحياةُ .

وهنا انتفَضَ الأستاذُ على صوتِ جرَسِ الهاتفِ الذي كان يَرِنُّ رنينًا قَوِيًّا ومتواصلًا ، وأخَذَ السمّاعةَ بيدِهِ وهتَفَ بها :

هلو .. . هنا المعركةُ .. مَنِ المتكلِّمُ ؟

استثمار تربوي

أ في فهم القصّة والتعبير

١. ما الذي كانَ يشغَلُ الأستاذَ ؟

٢. ما هي أسبابُ الحروب عند الأستاذ ؟ وهل توافقه على ذلك ؟

٣. مَن هم الأسيادُ في نظر الأستاذ ؟ ومَن همُ العبيدُ ؟

٤. كيف جرى الأستاذ خلف النّومِ ؟

٥. هل ترى أنّ مؤلِّفَ الحكايةَ كان ساخرًا ممّا يجري للقتلى ؟ ولِمَ هذه السُّخرية ؟

٦. مَن هو الشهيدُ كما يراه الجنود الموتى ؟

٧. لماذا لم يكُن الشُّهداءُ يريدون أن يُدْفَنوا ؟

ب في اللُّغة

١. في السطر الأول اسم استفهام . ما قاعدة كتابته هكذا ؟

٢. ماذا تعرف عن الواو الحالية ؟ دلّ عليها في بدايات هذه القصّة .

٣. ماذا تعرف عن قاعدة العدد ؟ قال الكاتب : «الجميع ما بين الثامنة عَشْرةَ والأربعينَ مدعوُّونَ ...» عَلِّلْ ذلكَ .

٤. قال الكاتب : «عاد المذياع الى بثّ الموسيقى الحربية نفسها» ، ولم يقل «نفس الموسيقى الحربية» . ما القاعدة ؟

٥. عَلِّلْ كتابة الهمزة في الكلمات الآتية : ساءَه ـ شيء ـ بأس ـ رائحة ـ مسؤوليّة ـ جاؤوا .

٦. أعرب : «الشّهيد ، أيّها الأستاذ ، كما قرأنا في مقالاتكَ التي كنت تنشرها ، هو من يتطوّع راغبًا للدفاع عن وطنه ، أو عن عقيدة إِنسانية يؤمن بها» .

الأميرُ يوزِّعُ ثروته



وَدَّعَ الصّيفُ وأقبلَتْ خيولُ الخريف تحمِلُ على أعرافِها تباشيرَ الشّتاءِ . راحتِ الرِّياحُ تبرُدُ رُوَيْدًا رُوَيْدًا ، وتَغَيَّرَ طعمُ الصّباحاتِ ، فلم تَعُدْ دافئةً ، ولم تعُدْ أسرابُ السّنونو تملأُها كما كانَتْ تفعلُ ، وهيَ خارجةٌ من أعشاشِها تبتغي رِزقَها لفراخِها . وكذا في المساءَات ، لم تعُدْ تلكَ السّنونو تلعَبُ في أجوائِها ، في سماواتِ المدنِ القديمةِ ، لُعبتَها المفضّلةَ ، فهي لا تُؤلِّفُ عِصاباتٍ تَخْطِفُ الفضاءَ خَطْفًا ، ولن تكونَ كالسِّهامِ تَنْطَلِقُ إلى أهدافِها . وكذا الأشجارُ ودَّعَتْ بدورِها موسيقى الحساسينِ ، وأَنغامَ العصافيرِ بألوانِها المختلفةِ ، فهي لا تُقيمُ أعْراسًا في كلِّ صباحٍ على أغصانِها المتشابكةِ ، وتحتَ أفيائِها الوارفةِ .

في كلِّ صباحٍ كانَتِ المدينةُ تُودِّعُ سِرْبا أو أكثرَ من السّنونو ، كما هيَ عادةُ هذا الطّيرِ ، طَلَبًا للبلادِ الأدْفأِ . كادَ الجوُّ يُقفِرُ من هذهِ الحركةِ الحيّةِ النشيطةِ الجميلةِ ، إلّا من سُنونُواتٍ هنا ، وأخرى هناكَ ، أعاقَها عندَنا تأَخُّرُ فِراخِها في الاقتدارِ على الرحيلِ الطّويلِ .

ونازكُ سنونوةٌ جميلةٌ لَطيفةٌ رَقيقةُ المشاعرِ ، تتحسّسُ لكلِّ جميلٍ ، يُطرِبُها فَرَحُ الآخرينَ وتُؤلِمُها أحزانُهُمْ ، تَنْفُرُ من القُبحِ ، وتَنْجَذِبُ إلى الجمالِ ، عَزَّ عليها فراقُ المدينةِ التي قَضَتْ فيها فَصْلًا

كانَ جميلًا طيِّبًا ، تناسلَتْ فيهِ ورأتْ فِراخَها يَمْرَحْنَ ويلعَبْنَ . عزَّ على نازكَ فراقُ سماءٍ أَلِفَتْها ووَداعُ حياةٍ عاشَتْها في رُبوعٍ صارَتْ جُزءًا لا يتجزَّأُ من كيانِها .

تأخّرَتْ نازكُ عن رفاقِها لأسبابٍ نعرِفُها أو لا نَعْرِفُها، ولكن لا بُدَّ ، أخيرًا ، من الرّحيلِ . جَمَّعَتْ عَزْمَها وشحَذَتْ إرادتَها ، وباتَتْ على رحيلٍ في الصّباح .

هل ترحَلُ نازكُ قبلَ أن تودِّعَ المدينةَ التي أَحَبَّتْها ؟ لا .. لن تذهَبَ بغيرِ وَداعٍ .. قد لا تراها أَبَدًا بعدَ اليومِ ، مَنْ يَعْلَمُ ؟ قَد يكونُ القَدَرُ لها بالمِرصادِ . إذًا لتُلْقِ نازكُ نَظْرةً سريعةً على مَرابعَ عايشَتْها ، وحدائقَ تَنَزَّهَتْ فيها ، وساحاتٍ مَلَأَتْ أجواءَها جِيئةً وذهابًا لعَهْدٍ طويلٍ .

مرَّتْ نازكُ على كُلِّ مكانٍ ، تَعِبَتْ من كثرةِ التّجوالِ ، وجاءَ المساءُ فحطَّتْ على تِمثالٍ كانَ يَرُوقُ لها كثيرًا لِترتاحَ عليهِ ، ولِتُشرِفَ منهُ على المدينةِ الّتي كانَ يُطِلُّ عليها من علٍ ، فتَتَملّاها بنظرةٍ شاملةٍ .

ارتاعَتْ نازكُ لمّا سمِعَتِ التِّمثالَ يُكلِّمُها بعَطفٍ وحَنانٍ ويقولُ لها :

أنتِ لطيفةٌ يا نازِكُ ، ولكِ قَلْبٌ طَيِّبٌ ، وروحٌ شَفّافةٌ ، وقد أحببْتُكِ كثيرًا ، هَيَّا إلى مكانٍ دافِئٍ في أحضاني تَقْضِينَ فيهِ ليلتَكِ هذهِ ، حتى إذا جاءَ الصّباحُ يكونُ لكِ شأنُكِ فيما تَبْتَغِينَ .

قالَتْ نازكُ بدَهْشَةٍ ، بعدَ أن لَجأَتْ إلى مكانٍ دافئٍ فيهِ :

أوَ تتكلَّمُ أيُّها التِّمثالُ الجميلُ ؟ لَمْ أرَ قبلَكَ تِمثالًا يتكلّمُ ، قلْ لي كيفَ ذلكَ ؟ لا بُدَّ أنّكَ إنسانٌ لهُ أحاسيسُ، لهُ شعورٌ ، لهُ فَهْمٌ ، قلْ لي بربِّكَ : مَنْ أنتَ ؟ ما حِكايتُكَ؟ ثمَّ كيفَ تتكلَّمُ وأنتَ تمثالٌ من جمادٍ ؟

قالَ التّمثالُ :

ـ لا تَسْتَغْربي يا نازكُ ، إنّ روحي تُقيمُ في هذا التّمثالِ وإنْ كانَ جَسَدي يُقيمُ تحتَهُ في التُّرابِ .

ـ من أنتَ أيّها التّمثالُ ! ؟

ـ أنا الأميرُ عارفٌ ، ولكنّي ، يا نازكُ ، في الحقيقةِ ، لم أكُنْ عارفًا لشيءٍ ممّا كانَ يدورُ حَوْلي .

ـ كيفَ ؟ ألم تَكُنْ أميرًا ؟ والأميرُ يعرفُ كلَّ شيءٍ ، يَعْرِفُ ما لا يَعْرِفُ الآخرونَ .

ـ لا .. لا .. يا نازكُ ! الأميرُ لا يَعْرِفُ شيئًا .. لا يَعْرِفُ إلّا من خِلالِ الآخرينَ ، للأميرِ عيونٌ كثيرةٌ ، ولكنْ بغيرِ بصيرةٍ ، للأميرِ آذانٌ كثيرةٌ ، ولكنْ بغيرِ وَعْيٍ ، للأميرِ أنوفٌ كثيرةٌ ، لكنّها لا تُميِّزُ الرّوائحَ ، ومَعَ ذلِكَ كُنْتُ دائمًا الأميرَ «عارفًا» .

ـ أكادُ لا أَفْهَمُ أيُّها الأميرُ العَظيمُ .

ـ لا تقولي العَظيمُ ، يا نازِكُ ما أبعدَ العَظَمَةَ عن نفسي . كنْتُ عظيمًا في الظّنِّ والوَهْمِ ، كنْتُ عظيمًا في أَعْيُنِ النّاسِ ، كنْتُ عَظيمًا حتى في عَيني ، ولكنّ عَيني كانَتْ عمياءَ لأنّها لم تَعْرِفْ يومًا الرُّؤيةَ الصّحيحةَ ، الرّؤيةَ الحقيقيّةَ ، لكثرةِ المناظيرِ الكاذبةِ التي كُنْتُ أرى الدُّنيا من خِلالِها .

قالَتْ نازكُ :

لم تَزِدْني ،أيُّها الأميرُ ، إلّا جَهْلًا ، هل لَكَ أن تَزيدَني وضوحًا .

ـ لا عليكِ ، يا نازكُ ، أنتِ لا تَعْرِفينَ حياةَ الأُمَراءِ ، ولا سياسةَ الملوكِ ، ولهذا ما فَهِمْتِ شيئًا ممّا أقولُ ، ولكنْ سَأُوَضِّحُ لكِ الأمرَ .

ـ قُلْ ... قُلْ .. يا أميري ! أنا مُصغِيةٌ إليكَ .

قالَ الأميرُ :

لا أدري من أينَ أبدأُ يا عزيزتي ! النّاسُ يَحْسُدُونَني على مكانتي في حَياتي ، وعلى تِمثالي بعد مَوْتي ، وهمْ لا يعرفُون أنّ مُصيبتي كلَّها في الحياةِ التي كنْتُ أعيشُها ، وأنَّ آلامي جميعَها بَعْدَ مَوْتي في هذا التِّمثالِ الثّمينِ العظيمِ الذي يُمثِّلني . هم لا يَعْلَمُونَ أنَّ هذا الجسدَ الذَّهبيَّ نفسَهُ هُوَ سببُ حُزني وكآبتي ، وأنّ عينيّ اللّتين هما من ألماسِ سَبَبُ بَليّتي ، وأَنَّ أُذُنيَّ اللّتينِ هما من العَقيقِ سَبَبُ مأساتي ، وأنّ أناملي الفِضيّةَ هي سَبَبُ إحساسي بالقَهرِ ، وأنّ اللآلىءَ التي تُرَصِّعُني هُنا وهُناكَ هِيَ من أسبابِ وَجَعي ، وأَنَّ هذا الغنى الذي أنا فيهِ سَبَبُ كُلِّ ما أُعاني .

قالَتْ نازكُ :

تكادُ تُمزِّقُ نفسي ، أيُّها الأميرُ ، وأنا لم أَفْهَمْ حكايتَكَ ، حبّذا لو أَفْهَمْتَني .

ـ سأُفهِمُكِ يا عزيزتي ـ قالَ الأميرُ التِّمثالُ ـ سأُفهمُكِ كُلَّ شيءٍ . إنّي الأميرُ «عارفُ ابنُ الأميرِ العَريفِ ابنِ الأميرِ عَرفانَ» .

تربّيتُ في قَصْرِ الإمارةِ ، طَلَباتي أوامرُ ، ورَغَباتي تُسعِدُ مَنْ يُلبّيها ، ما عَرَفْتُ من الدُّنيا إلّا طيّباتِها ، كانَ ذلكَ في طفولتي ،

واستمرّ ، بعدَ ذلِكَ ، بعد أن نَصَّبوني أميرًا على الإمارةِ كُلِّها ، عِشْتُ مُحاطًا بشكليّاتِ الإمارةِ وتقاليدِها العَريقةِ ، الجميعُ يَخْضَعُونَ لي ، ينحنونَ أمامي، يُقبِّلُونَ أطرافي ، الأموالُ تحتَ يدي كثيرةٌ ، كلُّ شيءٍ مُعَدٌّ ومُهيّأٌ ، خَدَمٌ وإماءٌ ، راقصونَ وراقصاتٌ ، عازفونَ وعازفاتٌ ، الحياةُ من حولي أعراسٌ وموائدُ ، دُنْيا جميلةٌ ليِّنةٌ ، أميرٌ مُطاعٌ ، ورَعِيّةٌ طائعةٌ . أميرٌ سَعِيدٌ ، وشعبٌ سعيدٌ ، النّاسُ جميعًا في خيرٍ ولينٍ ، هكذا أفهموني ، هكذا قَدَّمُوا أمامي قضايا النّاسِ ، إمارتي جَنّةٌ ، الجميعُ فيها يتمتّعونَ بالعيشِ الرّغيدِ ، هكذا كانَ مَنْ حَوْلي يرى عَنّي ، ويَسْمَعُ عَنّي ، وأنا مُغْلَقُ البصيرةِ ، لم أَكُنْ أستطيعُ أن أكشِفَ عن حقيقةِ شيءٍ ممّا يَجري في الخَفاءِ ، لم أَكُنْ أَحسبُ أَنَّ هنالكَ أَشياءَ مَخْفِيَّةً عَنّي ، ويا لَهَوْلِ ما كانَ يجري في الخَفاءِ ، يا عزيزتي نازِكُ !

قالَتْ نازكُ :

وماذا كانَ يجري في الخَفاءِ ، يا أميري !

أجابَ الأميرُ بصوتٍ تُقَطِّعُهُ الآهاتُ :

كانَ المحيطونَ بي ، من قادةٍ ووزراءَ وحُجّابٍ وأعوانٍ ، يملِكونَ كلَّ شيءٍ ، ويتمتّعونَ بكلِّ شيءٍ. ولكنَّ الكثرةَ من الشّعبِ

تَعيشُ في قهرٍ حَقيقيٍّ ، فَقْرٍ وجوعٍ ، مَرَضٍ ومَوْتٍ ، عَذابٍ مُسْتَمِرٍّ .

قالَتِ السّنونُوَةُ نازكُ :

نحنُ ـ معاشرَ الطّيرِ ـ كنّا نرى ذلكَ ونعرِفُهُ ، وكُنّا نحسَبُ أَنَّ الأميرَ يعرفُهُ أيضًا .

ـ الطّيرُ تعرِفُ ذلكَ لأنّها ترى وتَسْمَعُ بغيرِ قيودٍ ، تَعْرِفُ ذلكَ لأنّها ترى بعيونِها ، وتسمَعُ بآذانِها ، أمّا الأميرُ ، فهو أعمى ، وإنْ كانَ لهُ آلافُ العُيونِ ، وأطرشُ ، وإن كان لهُ آلافُ الآذانِ .

ـ أهذا ما يؤلمُكَ أيّها الأميرُ ؟

ـ يا نازكُ ، أنا الأميرُ ، وكانَ عليَّ أن أرعى إمارتي بالعَدْلِ والمساواةِ ، كانَ عليَّ أن أُوَفِّرَ الحياةَ الطيّبَةَ للجميعِ ، أَنْ أجعَلَ الحُريّةَ لكلِّ النّاسِ ، أرضُنا غنيّةٌ ، وشعبُنا نشيطٌ ، فلماذا لا يعيشُ الجميعُ عيشةً كريمةً ؟

ـ ولكنْ ، كيفَ عَرَفْتَ أنّهم فُقراءُ .

ـ لقد عَرَفْتُه بعدَ أن أصبحْتُ هنا على هذا المرتفعِ ، عَرَفْتُ بعدَ أن ماتَ جَسَدي التُّرابيُّ ، وتحرّرَتْ رُوحي من قيودِهِ ، وانطلقَتْ في سَماءِ المدينةِ تُراقِبُ ، تَرى ، تَسمَعُ، تَفْهَمُ . لقد زالَتِ الغَشاوةُ التي

كانَتْ تُعمي العيونَ ، وتُصِمُّ الآذانَ . لم يعُدْ لروحي عيونٌ أخرى غيرَ عينَيْها ، ولا أذانٌ غيرَ أُذُنَيْها . أصبحَتْ تَرَى وتَسْمَعُ مباشرةً ، عيناها هُما عيناها ، وأذناها هما أُذُناها ، وأنفُها هو أنفُها . نوافذُها متفوحةٌ ، تُطِلُّ منها على الجميعِ ، فانكشفَ أمامي كُلُّ شيءٍ ، وأصبحَتِ الحقيقةُ واضحةً بيِّنةً . ولكنْ ماذا رَبِحْتُ أنا من ذلكَ ؟ رَبِحْتُ الألَمَ والحُزْنَ على الشّعبِ المِسكينِ ، رَبِحْتُ القهرَ لأنّي كنتُ المسؤولَ الأكبرَ عن هذا الذي كانَ يُعانيهِ الشّعبُ ، أنتِ يا نازكُ وَحْدَكِ تَستطيعينَ أن تعرفي مِقدارَ حُزني ، أن تُقدِّري ما أُعاني من آلامٍ لأنّكِ نقيّةُ القلبِ ، صافيةُ الضّميرِ ، رَقيقةُ المشاعرِ .

ـ ولكنْ ماذا أستطيعُ أَنْ أفعَلَ يا سيّدي الأميرَ .

تستطيعينَ أن تُساعديني في تعويضِ بعضِ ما عاناه هؤلاءِ المساكينُ من فَقْرٍ وألمٍ .

ـ كيفَ ذلكَ يا سيّدي ؟ كيفَ تتّهِمُ نفسَكَ بهذهِ الجريمةِ ؟

ـ ألا تَرَيْنَ هؤلاءِ الجياعَ ؟ ألا تَرَيْنَ بيوتَهُمُ الفقيرةَ إلى كلِّ شيءٍ ؟ ثُمَّ ألا تَرَيْنَ إلى تمثالي هذا الذَّهبيِّ ، وإلى ما فيه من جواهرَ ولآليءَ تُساوي الكثيرَ الكثيرَ ؟

ـ نعم يا سيّدي ، أرى ذلك ، ولكنْ ...

ـ لا .. لا تقولي شيئًا . أنت تستطيعينَ أن تساعديني ، وليتكِ تفعَلين .

ـ ليتني أستطيعُ ، فكيف ؟

ـ تأخُذينَ هذهِ الجواهرَ التي تُزيّنُ تِمثالي هذا وتُعيدينَها إلى المتحاجينَ إليها . هل أنتِ مُستعِدّةٌ ؟

ـ لقد تأخّرتُ عن جماعتي وأخشَى أن يُداهِمَني البردُ ، ولكنْ لا عليكَ ، فأنا سأَفْعلُ ذلكَ كي أدفعَ عنكَ الحُزنَ والألمَ ، وعنِ المساكينِ الفقرَ والجوعَ .

ـ عافاكِ الله أيّتُها السّنُونُوَةُ الحبيبةُ ، هاتانِ عيناي لم أعُدْ بحاجةٍ إليهما ، بل هما سَببُ آلامي ، إنّهما من أثمنِ الجواهرِ ، خُذي واحدةً منهما ، الآنَ ، لتكُنْ من نصيبِ حَيِّ «الرّوافعِ» ، إنَّ أهلَهُ في أشدِّ الحاجةِ ، ولكنْ إيّاكِ ، إياكِ أن تسلِّميها إلى واحدٍ منهُمْ ، ولو فعلْتِ لجعلَ من نفسِهِ سيّدًا على جميع أهلِ الحيِّ وتحكّمَ بهمْ ، ولربّما أضافَ إلى قَهرِهِمْ قَهْرًا آخرَ أشدَّ وأصعبَ .

ـ ماذا إذًا يا سيّدي ! ؟

ـ هنالِكَ في حيّ «الحدائقِ» جَوْهَرِيٌّ يقولونَ إنَّ له ضميرًا حيًّا ، يَرْبَحُ ولكنَّهُ لا يَغُشُّ ، إذهبِي إليهِ ، بيعِيهِ هذهِ الجوهرةَ ، ثم وزّعي على جميعِ أهلِ «الرّوافعِ» ، بذلكَ نضمَنُ وصولَ الأموالِ إلى الفقراءِ الحقيقيّينَ ، ونأْمَنُ من تَسلُّطِ بَعْضِهِمْ على بَعْضٍ .

فَعَلَتْ نازكُ ما أشارَ بهِ الأميرُ عارفٌ ، ووزَّعَتْ ثمنَ عينِهِ على فُقَراءِ الحيِّ .

وفي اليومِ التّالي ، همَّتْ نازكُ بالرَّحيلِ ، ولكنَّ الأميرَ استوقَفَها ، ورجاها أن تأخُذَ عينَهُ الثّانيَةَ لتَفعَلَ بها ما فَعَلَتْهُ بالعينِ الأولى ، فَتُوَزِّعَ ثمنَها على حَيِّ «الرّواضي» ، فَفَعَلَتْ . وكانَتْ ، كلّما هَمَّتْ بالرّحيلِ لتلحَقَ بِسربِها ، وتتخلّصَ من البردِ الذي يُهدِّدُها ، كلَّفَها الأميرُ بأن تبيعَ قِطعةً من تمثالِهِ . اليومَ تبيعُ أُذنَهُ ، وفي الثّاني الأخرى ، وفي يوم آخرَ شَعْرَهُ ، ثم شاربَيْهِ ، فأناملَهُ ، فيدَيهِ ، إلى أنْ أتَتْ على كلِّ ما يُمكِنُ انتزاعُهُ من هذا التّمثالِ الثمينِ ، ولم يبقَ فيهِ إلّا الهيكلُ الجَصّيُّ الذي كانَتْ قد وُضِعَتْ عليه كلُّ تلكَ الأشياءِ الثّمينةِ بفنٍّ بديعٍ . هنا قالَ التّمثالُ الأميرُ :

اليومَ تَسْتَطيعينَ أن تَرحَلِي لتلحَقي بسِربكِ ، فلم يَعُدْ في بقائِكِ

من حاجةٍ ، وإنْ كانَ يعزُّ عليَّ فِراقُكَ .

قالَتْ نازكُ : لا .. لا .. يا صَديقي ، لن أتْرُكَكَ بَعْدَ اليومِ ، وقد أصبحْتَ هكذا عاريًا ، خسِرْتَ كلَّ شيءٍ ، تاجَكَ ، جواهرَكَ ، عينَيْكَ ، أُذُنَيْكَ ، يَدَيْكَ ... أنتَ اليومَ أكثرُ حاجةً لي من أيِّ وقتٍ مضى ، فسأكونُ عينَكَ التي تَرَى ، وأُذْنَكَ الّتي تَسْمَعُ ، ويدَكَ التي تَمْتَدُّ ، سأكونُ لكَ كُلَّ شيءٍ تحتاجُهُ ، فإذا كنتَ قد مَنَحْتَ المحتاجينَ كُلَّ ما تملِكُ ، فمِنْ حَقِّكَ عليّ أنْ أمنحَكَ العونَ والمُساعَدَةَ . لا .. لا .. لن أرْحَلَ بعدَ اليومِ .

قال الأميرُ : ولكنَّ البردَ لن يرحمَكِ يا صديقتي ، فاهْرُبي بنفسِكِ إلى حيثُ الدِّفءُ والأمانُ ، لقد أدَّيْتِ دَوْرَكِ كامِلًا .

وبينما كانَ الأميرُ التِّمثالُ يُكلِّمُها ، كانَتْ نازكُ تَرْتَجِفُ مِنَ البردِ ، وما لَبِثَتْ أن سَقطَتْ أمامَهُ جُثّةً بلا روحٍ .

أَحسَّ الأميرُ بها تسقُطُ على قَدَمَيْهِ ، فَعَرَفَ أنها قد ماتَتْ ، فَحزِنَ ، ولكنّهُ لم يَستَطِعْ أنْ يَبْكيَ ، فارتجفَ قلبُهُ الّذي كانَ باديًا من خِلالِ أضلاعِهِ ، وهو على جُثّةِ السُّنونُوَةِ ، كأنّما يُريدُ أنْ يرفَعَها من عَثْرتِها ، ولكنّهُ شارَكَها مصيرَها الأخيرَ بهدوءٍ واستِسْلامٍ .

أ في فهم القصّة والتّعبير

١. لماذا ترحلُ السّنونو في كلِّ عامٍ ؟

٢. لماذا كانَ يعزّ على السّنونُوةِ نازكَ أن تفارقَ المدينةَ؟

٣. لماذا لم يكن الأميرُ يعرفُ حقائقَ الأمورِ ؟

٤. إلامَ ترمزُ كلمة «المناظير» ؟

٥. لماذا كانَ غنى التّمثال الأميرِ وما يملكه من جواهر، سببًا من أسبابِ آلامِهِ ؟

٦. لماذا لم يكن أعوانُ الأميرِ يخبرونه بما تُعانيهِ أكثريّةُ الشّعبِ ؟

٧. متى أصبحَ الأميرُ عارف يعرف كلَّ شيءٍ ؟ ولماذا ؟

٨. لماذا حذّر الأميرُ نازكَ من تسليم الجوهرة إلى أحدِ الفقراء ليوزِّعها على أمثالِهِ ؟ وماذا تستنتجُ من هذا ؟

٩. كيف كانتْ نهايةُ السّنونوةِ ؟

١٠. هل أعجبتكَ هذهِ الحكايةُ ؟ وإلامَ ترمي في أهدافها؟

١. بمَ يُنصَب جمع المؤنّث السالم . هاتِ مثالًا من الصفحة ٢٢ .

٢. هل يُبنى الفعل المضارع ؟ ما قاعدة بنائه ؟ هاتِ مثالًا من الصفحة ٢٣ .

٣. ما الممنوع من الصرف ؟ هاتِ مثالًا من القصّة . هل يُصَرَّف الممنوع من الصرف ؟ متى ؟

٤. ما الفرق بين «لا» النافية و «لا» الناهية ؟ هاتِ مثالًا من النص . أمّا «لا» النافية للجنس ، فماذا تعرف عنها؟

٥. أَعرِبْ : «نحن ـ معاشرَ الطير ـ كنّا نرى ذلك ونعرفه ، وكنّا نحسب أن الأمير يعرفه أيضًا» .

لا لِلحَرب الأهليّة



كانت الأمُّ تجلِسُ في غُرفتِها حزينةً كئيبةً ، عيناها تتأمّلانِ صورتَيْنِ على الجِدار ، صورةِ زوجِها العقيدِ الشّهيدِ ، شهيدِ الوطنيّةِ والواجبِ ، وصورةِ ابنِها الطبيبِ الشّهيدِ ، شهيدِ العِلم والإنسانيّةِ .

قالَتْ : تُخاطبُ الأوّلَ ، وكأنّما انتصبَ أمامَها بلحمِهِ ودَمِهِ كما هو في صورتِهِ تمامًا :

فيمَ تركْتَني يا خليلُ ... ! ؟ أمِن أجلِ أن يُقالَ «ماتَ شهيدًا » ؟

انتفضَ الرّوحُ المتجسّدُ أمامَها وقالَ :

لا .. لا .. يا حبيبتي .. إنّكِ تُحقِّرينَ تضحيتي ، لم أَكُنْ أفكِّرُ يومَها أنّني سأكونُ شهيدًا أو لا أكونُ ، بل كان قُصارى هَمِّي أن أقومَ بواجبي تُجاه وطني ، أن أُحقِّقَ لهُ الخيرَ والعِزّةَ والكرامةَ ، أن أدفعَ عنه الغُزاةَ .

قالَتِ الأُمُّ الحزينةُ :

أوَ لم أكنْ أنا وأولادُكَ جُزءًا من هذا الوَطَنِ الّذي ضَحَّيْتَ من أجلِهِ ؟

أجابها :

كيف لا ؟ بل أنتم أعزُّ مَنْ في هذا الوطنِ ، وخيرُ مَنْ ضَحَّيتُ من أجلهم .

قالَتْ :

«آهٍ .. خليلُ ! كيفَ ذلكَ ؟ تُضَحّي من أجلِنا فتحرِمَنا منكَ

ونحنُ بحاجةٍ إليكَ .. ؟ آهٍ ، لو كُنْتَ تَدري كم عانَيْنا من مَصاعبَ وآلامٍ في غيابِكَ عنّا لعرَفْتَ أنّكَ لم تُضَحِّ من أجلِنا .. بل كنّا نحنُ الضّحيّةَ الحقيقيّةَ» .

لا تقولي ذلكَ يا حبيبتي .. ها إنَّ الأَولادَ قد صارُوا شبابًا أعزّاءَ ، وقد تركْتُهم أطفالًا صغارًا .. اسمَعي إليهم يتناقشونَ في الغُرفةِ المجاورة .. كلٌّ منهم يُدافعُ عن عقيدةٍ يُؤمِنُ بها ويراها الأنفعَ لهُ ولأبناءِ الوَطَنِ جميعًا .. هُمْ أيضًا مُستعدّونَ للتّضحيةِ في سبيلِ عقائدِهم الوطنيّةِ .. أتكونُ التضحيةُ ضارّةً بهِمْ أو بأُسَرِهِمْ وأولادِهِمْ لو كان عندَهم أُسَر وأولادٌ ؟ لا ! لا أَظُنُّ ذلكَ .. ولا يُمكِنُ أن يكونَ الأمرُ كما تتخيّلينَ .

ثمَّ من أينَ لهُمْ هذهِ العِزّةُ التي نلمَسُها في كلامِهِمْ لولا تضحيتي وتضحياتُ الآخرينَ ؟

تنهّدَتِ الأُمُّ عَميقًا وقالَتْ :

ولكنْ ماذا يَنْفَعُني أنا الأُمُّ إذا فَقَدْتُ زوجي أو أولادي ؟

ها إني أعيشُ حزينةً كئيبةً لا يُعَوِّضُني شيءٌ في الدّنيا عمّا فقَدْتُ .

قال الزّوجُ :

ولكنْ لولا التّضحياتُ التي يُقَدِّمُها أبناءُ الوطنِ لعاشَ الجميعُ في ذُلٍّ وفَقْرٍ وجوعٍ ومرَضٍ .

قالَتْ :

كلُّ هذا يَهونُ بوجودِكم ، بوجودِ رجُلِ البيتِ وشبابِه فيهِ .

قالَ :

لا تقولي ذلكَ .. لا .. لا تقوليهِ .. أَلَيْسَتِ الحياةُ وَقْفةً عزيزةً يَرفَعُ فيها الإنسانُ رأسَهُ عاليًا ؟ أَوَ تَحْسَبينَ الموتَ موتَ الجَسَدِ ؟ لا .. لا ، الموتُ هو موتُ الرّوحِ ، موتُ العِزّةِ ، موتُ الكرامةِ . فالجَسَدُ شيءٌ فانٍ ، إن لم يمُتِ اليومَ فغدًا وهو مُنْحَلٌّ إلى أصلِهِ التُّرابيِّ ، وأَمّا الرّوحُ العزيزةُ ، الأبيّةُ فهي الباقيةُ على الدّوامِ ، إنَّ روحَ الأجدادِ العظيمةَ ما تزالُ تَسْري في الحُفَداء وتدفَعُهم إلى الحياةِ الكريمةِ أبدَ الآبدينَ .

قالَتْ :

ويلي أنا من آرائِكَ هذهِ ، الّتي علَّمْتَها بل زَرَعْتَها في نفوسِ أطفالِكَ . وها هو ـ أشارَتْ إلى الصّورة المعلَّقةِ ـ ولدُنا أُسامةُ ، بعد أَنْ أصبحَ طبيبًا ، يُقدِّمُ نفسه ويموتُ ليكتشِفَ طريقةَ انْتِقالِ مرضِ اليرقانِ ، فهل أفادَتني تضحيتُهُ ؟ قُتِلَ المرَضُ وقُتِلَ العِلمُ ، وقُتِلَ كلُّ شيءٍ .. أنا لا أريدُ إلّا زوجي وأولادي . أَتَنْسى يا خليلُ أنّي تركْتُ كُلَّ شيءٍ ولحِقْتُ بكَ ، ترَكْتُ أهلي ، ترَكْتُ إخوتي وأخواتي وهرَبْتُ مَعَكَ لأنّي أحبَبْتُكَ ، لأنّكَ أصبحْتَ يومَها وما تَزالُ كُلَّ شيءٍ في حياتي ، فيكفَ فكّرْتَ ساعةً بتركي لأولادٍ صِغارٍ ليسَ لهُم مَن يُدَبِّرُ شؤونَهم . ولم تكتَفِ بهذا ، فقد تركْتَ فيهم روحَ التّضحيةِ التي تَتَحدَّثُ عنها ،

وها هو كبيرُهم قد فَعَلَها بعدَ أن أَصبحَ أملي وأعادَ لي صورتَكَ فيهِ .

وهنا انتفضَتْ صورةُ الابنِ المعلّقةُ على الجدارِ ، انتفضَتْ بشِدّةٍ وهَبَطتْ إلى أرضِ الغُرفةِ وانتصَبَتْ رجُلًا بثوبِ الطّبيبِ الأبيضِ وقالَ :

أَي أُمّي .. إنّي فَعَلْتُ شيئًا كبيرًا تُفاخِرينَ بهِ ، فعَلْتُ شيئًا نافعًا لكِ وللوَطَنِ وللإنسانيّةِ جَمْعاءَ .. فلا تَبْتَئِسي بل افرحي وكوني فخورةً بنا .. إنّنا نبني عَظَمَةَ الإنسانِ ، إنّنا ندفَعُ سفينةَ الحَضارةِ البَشريّةِ إلى الأَمامِ .. إلى الخيرِ .. إلى الأَفْضَلِ .

قالَتِ الأمُّ من دونِ أن تُفاجأَ ، وكأَنما وقوفُ ابنِها أمامَها أمرٌ طَبيعيٌّ :

ويلي منكَ ، وويلي عليكَ أيُّها الصَّبيُّ المغامرُ .. أنتَ لم تَسْتطِعْ أن تعرِفَ مدى حَسْرتي عليكَ ، ومدى آلامي لِفَقْدِكَ .. إنّكَ لم تكُنْ أُمًّا في يومٍ من الأيّامِ .

ـ أُمّي .. لأَنَّكِ أمٌّ يَجِبُ أن تفرحي بموتي .. لأَنَّكِ أُمٌّ يَجِبُ أَنْ تُفاخري بابنِكِ الّذي ضحّى من أجَلِ الأُمّهاتِ جميعًا حتى لا يموتَ أبناؤهُنَّ في مَرَضٍ لَعينٍ مِيتةً زَرِيَّةً غيرَ نافعةٍ في شَيءٍ .

أَي أُمّي .. ارفعي رأسَكِ عاليًا . إنّ ابنَكِ هذا ، وإنَّ زوجَكِ ذاكَ ، قد صَنعا شيئًا نافعًا ونافعًا جدًّا ، فافرحي وهلّلي لأنّهما إذا كانا قد خسِرا الجَسَدَ فهما قد رَبِحا الرُّوحَ ، ولم تمُتْ روحاهما مع جَسَدِهما كما هي حالُ الجُبَناءِ الأَنْذالِ .

صاحَتْ : ويلي .. وويلي مرّةً ثانيةً مِنكُما ، وأرجو أن لا تَشُدّا إليكما أولادي الآخرينَ . إنّ أخاكَ عدنانَ ، يا أسامةُ ، يحاولُ الآنَ أن يكسبَ السَّبْقَ في الطَّيرانِ على الآخرينَ ، إنّه طيّارٌ ، يُقالُ عنهُ إنّه ماهرٌ حاذِقٌ ، وهو يَسْعَى الآنَ إلى تحقيقِ رَقْمٍ قِياسيٍّ في الارتفاعِ جوًّا ؛ كما يقولُ إنَّهُ يُريدُ أن يُحطِّمَ الرّقمَ السّابقَ ، ويلي .. أنا لا أَفْهَمُ كثيرًا في هذهِ الأُمورِ ، ولكنّني أفهَمُ شيئًا واحدًا هو أنّني أُريدُ أَولادي ، أُريدُهُمْ سالمينَ أحياءَ يَعيشونَ معي ، إنّني أمٌّ ، هذا ما أفهَمُهُ .

وبينما كانتِ الأمُّ سَكرى أُمومتِها وحُبِّها الفائضِ وحنينِها الغامرِ ، سمِعَتْ صوتَ عدنانَ يقولُ لها :

ها أنا ذا يا أُمّي .. ولكنْ ...

التفتَتِ الأمُّ جِهةَ الصّوتِ فرأَتْ ولدَها الثّاني عدنانَ واقفًا وهو يبتسِمُ ، فقالَتْ لهُ :

و «لكنْ» ! ما هذهِ الـ «لكنْ» يا عدنانُ ؟ ! إنّها تبعَثُ فيَّ الخوفَ .

قالَ عدنانُ :

أراكِ ، يا أمّاه ، في زَحمةِ النّقاشِ والمجادلةِ معَ أبي وأخي .

ثمَّ الْتَفَتَ إلى والدِهِ الّذي كان قد استُشهِدَ من زمنٍ طويلٍ ، يومَ كانَ هو ما يزالُ صغيرًا وقالَ لهُ :

كيفَ أنتَ يا أبي ؟ كيفَ وجَدْتَ حياةَ الشُّهداءِ في عالَمِ الخالدينَ ؟ إنّي لم أتذوَّقْها بعدُ لأنّي جِئتُ لأودِّعَ أُمّي ولتُشبعَ شَوْقَها

إليَّ قبلَ أنْ أَمضيَ إلى هُناكَ .

صاحَتِ الأمُّ وقد بُهِتَتْ واصفرَّ لونُها :

ماذا في الأمرِ يا عَدنانُ . ؟ هذا موعِدُ السِّباقِ .. بل إنَّهُ ـ وقد نَظَرَتْ إلى السّاعةِ ـ قد مضى وانتهى حِينُه منذُ خمسِ دقائقَ ! هل فُزْتَ بِهِ ؟ أم إنَّهُ قد أُلْغِيَ .. أم ..

لا .. ـ قالَ عدنانُ ـ لا هذا ولا ذاكَ . السِّباقُ قد جرى .. وأنا لم أَفُزْ .. ولكنَّ طائرتي قد تَحَطَّمَتْ ..

ماذا .. ؟ كيفَ سلِمْتَ ؟ قالَتِ الأمُّ .

ضَحِكَ عدنانُ ، ولو كانَ يستطيعُ لاحتضَنَ أُمَّهُ بين يَدَيهِ ، ولكنَّهُ لم يكُنْ أكثرَ من روحٍ تبدو في جسدٍ خَياليٍّ ليسَ لهُ مِنَ الجَسَدِ إلّا أنْ تراهُ العينُ . ضحِكَ عدنانُ وقالَ :

أُمّي .. كوني جديرةً ببطولاتِنا كما نحنُ جديرونَ بأمومتِكِ العظيمةِ يا سيِّدةَ الأمَّهاتِ جميعًا .. كيفَ ترفُضينَ التضحيةَ وأنتِ المُضَحِّيةُ الأُولى ! ؟ كيفَ تخشَيْنَ إذا تحطَّمَتْ طائرتي في سبيلِ أمرٍ عظيمٍ ، في سبيلِ تقدُّمِ الطّيرانِ واختراقِهِ الأجواءَ العليا ؟ أليسَ هذا أمرًا عظيمًا بربِّكِ يا أمي ! ؟

ويلي منكَ ـ قالَتِ الأمُّ ـ ويلي عليكَ .. أخشى أن تكونَ الآنَ خيالًا أمامي كأبيكَ وأخيكَ ومَدَّتْ يدَيْها لتقبضَ عليهِ ، أو لتَلْمُسَهُ ، فلم تَصْطَدِمَا بشيءٍ ، فوقَعَتْ على الأرضِ مَغْشِيًّا عَلَيْها .

قالَ الأَبُ :

مِسكينةٌ مريمُ ، بل مِسكيناتٌ جميعُ الأمَّهاتِ ، إنّهنَّ لا يعرِفْنَ إلّا أن يُحبِبْنَ ويتحرَّقْنَ شوقًا وألمًا لبُعدِ أَولادِهنَّ .

وفي هذهِ اللّحظةِ دَخَلَ عليها أولادُها الآخرونَ ، فوجدوها مَلقيّةً على الأرضِ شاحبةَ اللَّوْنِ بطيئةَ الأَنفاسِ . قالَ سامرٌ :

مِسكينةٌ أمّي .. أتكونُ قد سمِعَتْ نبأَ مَصرَعِ أخينا عدنانَ مِنَ «الراديو» ؟

قال فؤادٌ :

ولكنّ البابَ كانَ مُغْلَقًا ، ولا يَصِلُ صوتُ المِذياعِ من غُرفتِنا إليها .

إذًا .. لماذا هي كذلكَ ؟ قال سامرٌ ، وقد أَسْرَعَ إلى كُوبِ ماءٍ ورَشَّ منهُ على وَجهِها ، وراحَ يُدغدِغُ وجنتَيْها كيما تُفيقَ من إغماءَتِها .

وما لبِثَتْ أن حرّكَتْ شفتَيْها عن اسم وَلَدِها عدنانَ ..

إذًا أنتِ ـ قال سامرٌ ـ قد علِمْتِ ما جرى .

ويلي ـ قالتِ الأمُّ ـ إذًا ما رأَيْتُهُ وما سمِعْتُهُ كانَ حقيقةً ، وليسَ حُلُمًا .

قالَ سامرٌ :

انهضي الآنَ يا أمّي ، هَذهِ هِيَ الحياةُ ، وأرى أن تكوني سعيدةً

بهذه الأُسرةِ العظيمةِ المُضحِّيَةِ .. عليكِ أن تَفْخري بنا جميعًا لأنّنا ركائزُ هذا الوطنِ ، بل ودعاماتٌ للإنسانيّةِ جمعاءَ .

قالَتِ الأمُّ وقد نَظَرَتْ إليهِ بتَراخٍ :

ماذا تَقصِدُ بقولِكَ «جميعًا» يا ولدي ! أيُمكِنُ أنْ تكونوا جميعُكم على هذهِ الطّريقِ يا سامرُ ؟ وكادَتْ تَرتَمي من جديدٍ لولا أنّهُ حاولَ إنعاشَها مرّةً أخرى ، وقال:

أُمّي .. أُمّي .. ! ما بكِ ؟ أعرِفُكِ قَوِيَّةً على الشّدائدِ:

قالَتْ :

على أن لا تكونَ الشّدائدُ فيكم أنتُمْ يا أولاي ، ولكن لم تُجِبْني عن سُؤالي يا سامرُ .

ـ لا .. لا شيءَ الآنَ يا أمّي سوى أَنَّ علينا أن نَذْهَبَ إلى مكتَبِ الطّيرانِ الوطنيِّ لنشارِكَ في التّشْييعِ العظيمِ الّذي سيُجْرى لأخينا عدنانَ .

ـ ويلي .. عدنان .. أَسَفي على شَبابِكَ يا عدنانُ .

قال فؤادٌ :

ألم تسمَعِي صوتَ المُذيعِ حينَ قالَ «إنّه بَطَلٌ» ماتَ شهيدًا . إنّ هذا شيءٌ عظيمٌ يا أمّي .

ـ شهيدٌ .. شهيدٌ .. بَطَلٌ .. هذا شيءٌ لا يَنْفَعُني. صَدِّقوني .. أنا

أمّ .. لا .. لا لا أريد أن أصدِّقَ أنّ عدنانَ قد ماتَ .

ـ هَوِّني عليكِ يا أُمّي .. الكلُّ سيموتُ .. ما من أحدٍ سيَبْقى حيًّا إلّا أرواحُ الأبطال .. هي وحدَها تُحلِّق في سماءِ الخلودِ ، وتَرِفُّ على الكَوْنِ بأجنحةٍ بيضاءَ في سعادةٍ حقيقيّةٍ .

ـ أوَ تكونُ أنتَ الآخرَ يا فؤادُ سائرًا على هذهِ الطّريقِ ؟ لا .. لا .. ارْحَمُوني .. ارْحَمُوا أُمًّا تُريدُ أَبْناءَها .

وبعدَ أن اطمأَنَّ سامرٌ وفؤادٌ إلى أنَّ أُمَّهُما قد عادَتْ إلى وعيِها ، تركاها وذَهَبا ليَكونا في مَأْتَمِ تَشييعِ جُثمانِ أخيهما عَدنانَ الّذي سقطَتْ بِهِ طائرتُه وهو يُحاوِلُ أن يكونَ السَّبّاقَ في التّحليقِ العالي .

ومضَتِ الأيّامُ على الأُمِّ رتيبةً كئيبةً ، كانَتْ تَسْمَعُ فيها ، بينَ الحينِ والحينِ ، أنباءَ صِراعاتٍ داميةٍ تقومُ بين السُّلطةِ الّتي تحكُمُ البلادَ وتُمثِّلُ الحِزبَ الأبيضَ من جهةٍ، والحِزبِ الأحمرِ الّذي يُطالِبُ بأَشْياءَ كالعدالةِ والحُرّيةِ والمساواةِ من جهَةٍ أخرى ، فيقفِزُ قلبُها خوفًا على أبنائِها ، الّذينَ ظَلُّوا أَحْياءَ ، سامرٍ وفؤادٍ وسميرِ الصّغيرِ الّذي ما زالَ وهو في السابعةَ عَشرةَ من عُمرِهِ ، ضَعيفَ البُنيةِ شَديدَ الحَساسيّةِ .

كانَ أخشى ما تَخشاهُ أن يَشْتَرِكَ أولادُها في هذا الصِّراعِ الدّامي في البلادِ ، وكان يُخيفُها أكثرَ أنَّ سامرًا وفؤادًا مختلفانِ في آرائهما حولَ هذا الصِّراعِ ، سامرٌ يؤيِّدُ البيضَ الحاكمينَ ، وفؤادٌ يُؤَيِّدُ الحُمرَ

الثّائرينَ ، حتى إنَّ صِراعاتٍ عنيفةً كانَتْ تجري بينَهما في البيتِ ، تَصِلُ أحيانًا إلى حَدِّ المشادَّةِ بالأيدي غيرَ مُكتفِيَيْنِ بالجَدَلِ والكلامِ .

كانتِ الأُمُّ تسمَعُ وتَرى ، وليسَ لها إلّا أن تَبكيَ وتُندِّدَ بما يَفْعَلانِ . وتَخْشى عَلَيْهما مَغبَّةَ هَذا الصِّراعِ . لكنَّ تنديدَها هذا لم يكُن لِيُغَيِّرَ من الواقعِ شيئًا .

وفي يومٍ مَشْؤُومٍ ، طَلَبَتِ الأُمُّ ولدَها فؤادًا ، فلم تَجِدْهُ . سأَلَتْ عنه ، فقالَ سميرٌ :

رأَيْتُهُ يحمِلُ بُنْدُقيّةً ويَمضي ، ولمّا سأَلْتُه إلى أينَ ، لم يُجبْني .

صاحَتِ الأُمُّ :

وأينَ أخوكَ سامرٌ ؟

قال سميرٌ :

سامرٌ ينامُ أو يستمِعُ إلى صَوْتِ المِذياعِ في الغُرفةِ الدّاخليّةِ .

أسرَعَتِ الأُمُّ إلى حيثُ سامرٌ ، فوجدَتْه يُصغي إلى ما تَبثُّهُ الإذاعةُ ، وينظِّفُ بينَ يَدَيْهِ بندقيّةَ أَبيهِ القديمةَ .

صاحَتِ الأُمُّ مستنكرةً ما يفعلُ ، قالَتْ :

ما شأنُكَ بهذهِ البُندُقيةِ يا سامرُ ؟

قال :

أُنظِّفها ، يا أمي ، فقد علاها الصَّدأُ .

ـ ولِمَ اليومَ دونَ غيرِهِ ؟ أنا لا أصدِّقُكَ .. لا بُدَّ أنَّكَ تنوي أمرًا ، ويلي إنْ كانَتْ ظُنوني صادقةً .

ـ لا تخشَيْ شَيْئًا ، يا أماه .. لن يُصيبَنا إلّا ما كتبَهُ اللهُ لنا .

ـ إذًا أنتَ تنوي أن تُقاتِلَ بها . أيكونُ أخوكَ فؤادُ في القتالِ أيضًا ؟

ـ لا .. فقط أنا أريدُ أن أذهَبَ للبحثِ عنهُ ، وليسَ من المُناسبِ أن أخرُجَ في مثلِ هذهِ الأيّامِ بغيرِ سِلاحٍ ، على الأقلِّ أُدافعُ بِهِ عن نفسي إذا اقتضتِ الضَّرورةُ ذلكَ .

ـ لا أكادُ أُصدِّقُكَ .. يا سامرُ .. ولكن لا بُدَّ أن تَبحَثَ عن أخيكَ .

ـ هو كذلكَ .. فاطمئِنّي .

قالَ سامرٌ ذلكَ ، وحمَلَ بندقيّتَهُ ومَضَى بها .

مضى النَّهارُ وتَبِعَهُ الليلُ ، وجاءَ الصَّباحُ ، ولم يَعُدْ سامرٌ ، ولم يعُد فؤادٌ .. والأمُّ بعَقْلٍ طائرٍ وقلْبٍ حائرٍ ، أليفُها القَلَقُ وسُمّارُها الوساوسُ . تَتَسلّى بسميرٍ أحيانًا ، وتُصلّي أحيانًا ، وأحيانًا تُشعِلُ الشُّموعَ ، وتَسجُدُ وتَتوسَّلُ إلى اللهِ أنْ يُعيدَ ولدَيْها سالمَيْنِ ، لأنّه يكفيها ما قدَّمَتْ من ضَحايا .

ولكن يبدو أنّ كلَّ ذلكَ لم ينفعْها في شَيْءٍ ، ففي صَباحِ أَحَدِ

الأيّامِ جاءَتْها الأَنْباءُ ، يحمِلُها بعضُ أَصدقاءِ الأُسرةِ ، جاءَتْها الأنباءُ تقولُ في تردُّدٍ : قد انفجرَتْ قربَ سامرٍ قُنبلةٌ ، ورجالُ الدّولةِ وجنودُ الجيشِ يَعْمَلونَ على إخلاءِ الأَمكنةِ من جُثَثِ الضّحايا . وما كادَتْ تسمَعُ النّبأَ حتى سَقَطَتْ مَغْمِيًّا عليها ، وبدون أنْ تَتَمكَّنَ من أن تَصيحَ أو تَبكيَ .

تجمَّعَ من حولِها الأَصحابُ والمُحِبُّونَ ، وعمِلُوا على إيقاظِها ، ولمّا استعادَتْ وعيَها تمتمَتْ بصَوْتٍ خَفيضٍ :

سامر .. فؤاد .. سمير .. خليل ، يا خليلُ ، أولادُك يَلْحَقونَ بكَ .. أنتَ تَدْعوهم .. أنتَ علَّمتَهم السَّيرَ على دَربِكَ .. كيفَ تُحَطِّم قلبَ أمٍّ ؟ كيفَ ؟ فيمَ أسأْتُ إليكَ يا خليلُ ؟

وبينما كانَتْ في هذا الهَذَيانِ ، دَخَلَ فؤادُ ، فصاحَتْ بِهِ :

سامرٌ ، يا فُؤادُ ، لَحِقَ بكَ .. كان يبحثُ عنكَ .. لقد ضاعَ سامرٌ يا فؤادُ .. كيف ترَكْتَهُ يموتُ .. آهِ ولدي .. حبيبي . حَسَنٌ أنّكَ عُدْتَ أنتَ يا فؤادُ . حَسَنٌ أنّكَ لم تمُتْ أنتَ الآخرُ .

ثم نَهَضَتْ وأمسكَتْ بِهِ ، وقالَتْ :

لن تموتَ يا فُؤادُ ، لن أدَعَكَ تُفلِتُ مِنّي أنتَ الآخرُ .

نَظَرَ فؤادُ إلى أُمّهِ وبكى ..

ثمّ التَفَتَ إلى الخارجِ وقالَ :

أُمّاه .. رفاقي هُناك ينتظرونَني .. وليس من العَدلِ ولا من الشَّرَفِ أن أترُكَهُمْ .. إنّنا أبناءُ عقيدةٍ واحدةٍ ..

يجِبُ أن تفهمي ، يا أُمّي ، أنَّ الشَّبابَ للوطنِ .. إنّهم للعقيدةِ ، وما معنى الحياةِ بدونِ عقيدةٍ يُدافعُ عنها صاحبُها .. أم أنّكِ تحسَبين الحياةَ ، ياأمّي ، حياةَ طعامٍ وشَرابٍ وعمَلٍ .. لا .. لا يا أمّي ! الحياةُ عقيدةٌ وجهادٌ .

صاحَتِ الأُمُّ بمِلْءِ صوتِها :

أنا لا أفهَمُ هذا .. كفى .. كفى .. افهَمُوا أنّني أمٌّ.. لا تتغابَوا .. ، أَمْ أنّني لا أهُمُّكُم في شَيْءٍ ؟

ثمّ فيمَ أنتُمْ تُقاتلونَ ، ليس هذا الّذي أنتم فيه نضالًا ولا جهادًا ، وليس الموتُ الذي تسيرونَ إليهِ استشهادًا ! إنّه غَباوةٌ ! غباوةٌ يا أولادي أن يَقْتُلَ أهلُ الوَطنِ الواحدِ بعضُهم بعضًا ، والأغبى أن يُسَمّي كلُّ طَرَفٍ قتلاهُ شُهداءَ .. باللهِ عليْكُمْ يا أولادي ! اهدَأُوا ! إنَّ الوَطن خاسِرٌ بهذا القتالِ ، وإذا كانَ أبوك قد قُتِلَ في سبيلِ الوطنِ ، فهذا صحيحٌ لأنّه كانَ يدافِعُ عنْ حُدودِهِ ، كانَ يناهِضُ أعداءَهُ ، وإذا كانَ أخواكَ قد قُتِلا في سبيل تقدُّمِ العِلمِ ، فهذا أمرٌ مشروعٌ ، أمّا الآنَ فالأمرُ مُختَلِفٌ ، أبناءُ الوطنِ الواحدِ يَقْتَتِلونَ ، الأخُ يقتُلُ أخاهُ ، لقد كُنْتَ أَنْتَ في طرفٍ وأخوك في طَرَفٍ آخرَ ، فأيّكما يكونُ الشّهيدَ .. لا .. لا.. يا أولادي

إنّكُم تَقتَتِلونَ اليومَ في حَرْبٍ غبيّةٍ ، والخاسِرُ فيها هو الوطنُ دائمًا ، والخاسرُ فيها هؤلاءِ الأمّهاتُ اللّاتي سيُصْبِحْنَ ثَكالى من أجلِ أن يَنْتَصِرَ الزّعيمُ فُلانٌ على الزّعيمِ فُلانٍ .. لا .. لا يا أَولادي .. دَعْكُمْ مِنْ هٰذا وعودوا إلى حِضني ، وإذا كانَ لا بُدَّ من الإسْتِشهادِ ، فليكُنْ في غيرِ هذهِ السّبيلِ .. أنا لا أرى الّذي أنتم فيهِ إلّا خِيانةً لهذا الوطن الذي سيحتاجكم يومًا فلا يَجِدُكم .

نَظَرَ إليها فؤادٌ نظرةً طويلةً ، ثمَّ أعطاها ظهرَهُ ومضى مُسرِعًا تارِكًا وراءَهُ ما لا يَستطيعُ قلبُ الأُمِّ أن يحمِلَهُ .

ثمَّ بعدَ أيّامٍ لحِقَ فؤادٌ بأبيهِ وإخوتِهِ الراحلينَ ولم يبقَ للأُمِّ سوى ولدها الصّغيرِ سميرٍ ، فتمسّكَتْ به ، ولكنّها لم تعُدْ واثقةً من أنَّهُ سيبقى لها ، دخَلَتْ غُرفتَها وحَملَقَتْ بصورةِ زَوْجِها ، وقالَتْ عاتبةً : هكذا أنتَ يا خليلُ .. أبيْتَ إلّا أن يكونوا لكَ ..

ولكنْ لا بأسَ .. إنّ الّذينَ أخذْتَهم يكفونَكَ .. ولا تحتاجُ إلى مَزيدٍ ، فاترُكْ لي هذا الصّغيرَ .. إنّه بجسمِهِ الضّعيفِ لا يملِكُ أن يُقاتِلَ ، ولا أن يُضحّيَ .. دَعْهُ لي يا خليلُ .. لا بدَّ أن تَرحَمَني أخيرًا .. لن تترُكَني هكذا وحيدةً لا زوجَ ولا أولادَ بعد شبابٍ ضيّعْتُه في تربيةِ خمسةٍ كانوا جمالَ الحياةِ وحلاوتَها في عينيَّ .

في هذهِ الأثناءِ وهي تُخاطبُ صُورةَ زوجِها دَخَلَ عليها سَميرٌ

وهو يقول :

أُمّي .. أُمّي .. بلاغاتٌ خطيرة يُذيعُها المِذياعُ .. تعالَي .. اسمعي ..

تركَتِ الأمُّ غُرفتَها ، وأسرَعَتْ إلى حيثُ يَدْعوها سَمِيرٌ ، وهي تقولُ .. ماذا في الأمر ؟ لا تخَفْ يا ولدي .. ثمَّ أمسكَت بهِ وأصغَتْ إلى صَوْتِ المُذيعِ :

طائراتُ أعداءِ الوطنِ تحلِّقُ في أجواء العاصمة ..

الأعداءُ ، يُذيعونَ أنّهم جاؤوا لإنقاذ الأُمّةِ من الحرب الأهليّةِ .

إنّهم كاذبونَ .. جاؤُوا مُحتلِّينَ .. الأَعداءُ لن يكونوا رُحَماءَ .. ولن يكونوا أَصدِقاءَ ..

ثم توقَّفَ المُذيعُ .. وبعد معزوفةٍ موسيقيّةٍ وطنيّةٍ قالَ :

طَيَرانُ العَدُوِّ قَصَفَ معاملَ الدِّفاعِ .. القتلى والجرحى بالمئاتِ .

ثم سكَتَ لدقائقَ وقالَ :

الأعداءُ يقصِفونَ المواقعَ السّكنيّةَ .. الأعداءُ لا يرحمونَ الأطفال .. إنّهم يقصِفونَ المدارسَ .. الأطفالُ قَتْلَى وجَرْحَى بالمئاتِ ، وأبناءُ الوَطَنِ مدعوُّونَ للدِّفاعِ عن وطنِهِمْ ، عَنْ أَطفالِهم ، عن كرامتِهم ..

وهنا اهتزَّتِ الأمُّ وحَملَقَتْ بولدِها سميرٍ ، وقالَتْ :

ماذا تفعَلُ هنا يا سميرُ .. ؟ ألسْتَ من أبناءِ الوَطَنِ ؟

وأسرعَتْ خارجةً من الغُرفة لتَعودَ بعدَ دقائقَ تحمِلُ بندقيّةً كانت تحتَفِظُ بها للذّكرى ، وقد قدّمَتها قوّاتُ الدِّفاعِ لها يومَ آستُشهدَ زوجُها خليلٌ ، ثمّ مَدَّتْ يدَيها بالبُنْدُقيّةِ نحوَ سميرٍ وقالَتْ :

أَجَل كنتُ أعلَمُ أن هذهِ الحربَ الأهليّةَ ستُضعِفُ الوَطن فتُطمِعُ فيهِ أعداءَهُ ؛ هذهِ لك يا سميرُ .. لمثلِ هذه السّاعة نربّي الأبناءَ .. هيّا يا ولدي .. كُنْ شُجاعًا .. كُنْ جديرًا بأمّتِكَ ، بوطنِكَ بأبيك ، بإخوتِكَ .. رعاكَ الله .. وردَّكَ والوطنَ سالمَيْنِ .

استثمار تربوي

أ في فهم القصّة والتعبير

١. فيمَ قدّم العقيدُ نفسَه شهيدًا ؟ هل كانَ على حقٍّ ؟ ولماذا ؟

٢. لماذا كانَ على الأمِّ أن تفرح بموتِ ولدِها أسامة ؟ وهل تَظُنُّ أنّها تستطيعُ ذلك ؟ لماذا ؟

٣. لماذا لم يَستطعْ عدنانُ أن يحتضنَ أمّه بينَ يَدَيْهِ ؟

٤. فيمَ كانَ الصِّراعُ بينَ سامرٍ وأخيهِ فؤادٍ ؟

٥. هل كان سامرٌ صادقًا في قولِهِ لأمِّهِ إنّه ذاهبٌ للبَحْثِ عن أخيهِ ؟

٦. كيف رضِيَتِ الأمُّ بسَمير وَحْدَهُ ؟

٧. دفعَتِ الأمُّ وَلَدَها الأخيرَ إلى المَعركة وكانَتْ به ضنينةً ، فكيفَ تفسِّرُ ذلكَ ؟ وهل أعجبَكَ هذا المَوْقِفُ مِنها ؟ ولماذا ؟

٨. ما العواطف التي كانَتْ تتصارَعُ في هذهِ القِصّةِ ؟ ولأيِّها كانتِ الغَلَبَةُ أخيرًا ؟

٩. هل ترضى عنِ الصِّراعِ المسلَّحِ الذي يقومُ بين أبناءِ الوطنِ الواحدِ ؟ ولصالحِ من فسَّرَتْهُ الأُمُّ ؟

ب في اللّغة

١. في الصفحة الأولى اسم استفهام . ما هو ما أصلُهُ ؟ ولماذا كُتب كذلك ؟

٢. في بدايات القصة اسم فعل يتكرّر . ما هو ؟ وكيف تُعْرِبُه ؟

٣. ورد في القصة : «لا يعوّضني شيء في الدنيا عمّا فقدتُ» . ماذا تعرف عن «عَمَّا» هذه ؟

٤. إستخرجْ من القصَّة المنادى وأَعربْه .

٥. هنالك أفعال أمر في هذه القصة . إستخرجها وأَعربْها .

٦. دلَّ على الواو الحالية الواردة في القصّة .

٧. استخرج الأسماء الخمسة الواردة في القصَّة ، وأَشِرْ إلى علامة إعراب كلٍّ منها .

الرّوح المُتألّم



وقف الحسّونُ على إحدى أشجارِ خميلةٍ مُتنحّيَةٍ عنِ المدينةِ ، بثَوْبِهِ الملوَّنِ يَترَنَّحُ بهِ غُصْنٌ غضٌّ لَيِّنٌ فوقَ نُصُبٍ «برونزيٍّ» يُمَثِّلُ رَجُلًا قاسيَ الملامح .

كانَ إلى الأسفلِ من هذا التّمثالِ رُخامةٌ واسعةٌ بيضاءُ كُتِبَ عليها كلماتٌ تقولُ :

هنا يَرقُدُ
البَطلُ القوميُّ الكبيرُ
مُحرِّرُ الوَطَنِ مِنَ الاستعمارِ والمستعمرينَ
هنا يرقُدُ صانعُ مفاخرِ الأمّةِ
رائدُ الخُضَريّ

قَرَأَ الحسّونُ الجميلُ المغرِّدُ هذهِ الكلماتِ ، ولكنَّهُ لم يَفْهَمْ منها الكثيرَ ، فهو لم يَعْرِفِ المستعمرينَ ، ولم يَحْضُرْ حروبَ التّحريرِ ، ولا شاركَ فيها .

قالَ في سريرتِهِ : لا بدَّ أن أعرفَ حِكايةَ ما وراءَ هذهِ الكلماتِ ، فهيَ مكتوبةٌ برموزٍ يفهمُها الإنسانُ وحدَهُ ، هذا الحيوانُ الّذي يدّعي أنّه سيِّدُ الكوْنِ .

غَرَّدَ الحسّونُ وغَرَّدَ ، غرّدَ طويلًا ، طويلًا جدًّا ، فتجمَّعَتْ حولَهُ الأرواحُ الرّقيقةُ الطيّبةُ ، أرواحُ الشّهداءِ والمناضلينَ في سبيلِ حُريّةِ

الوطنِ وكرامتِهِ وصَوْتِهِ عزيزًا كريمًا ، أرواحُ هؤلاءِ الّذينَ ترقُدُ أجسامُهُمْ في ظلالِ هذهِ الخميلةِ المُجانِبَةِ للمدينةِ .

تَجَمَّعَتْ حولَهُ بلَطافةِ النّسيمِ الرقيقِ الذي كانَ يَهُبُّ رَخِيًّا في تلكَ الأُمْسِيةِ الهادئةِ . تحلّقتْ حولَهُ من دونِ أَنْ يَدْري . تَحلَّقتْ لتُصغيَ بوداعةٍ وغِبطةٍ إلى ألحانِهِ ، إلى أغاريدِهِ العَذْبةِ المُؤْنِسةِ .

الحسّونُ يُغَرِّدُ ، والأرواحُ حولَهُ تَطْرَبُ ، ولكنَّهُ لا يراها ، ولا يَعْلَمُ بها . غَرَّدَ الحسّونُ حتى أَتْعَبَهُ التّغريدُ ، ولمّا سكتَ انصرفَتْ عنهُ الأرواحُ الرّقيقةُ الشّفّافةُ إلّا روحًا واحدًا كانَ يُقدِّرُ أنَّ الحسّونَ يُريدُ بهذا الغِناءِ الّذي لم يُغَنِّ مِثلَهُ من قبلُ حسّونٌ آخرُ ، أن يقولَ شيئًا .

ولمّا انصرفَتِ الأرواحُ جميعًا إلى مَراقدِها خلفَ جُدرانِ الموتِ السّميكةِ ، انتصبَ هذا الرُّوحُ أمامَ الحسّونِ في صورةِ إنسانٍ . كادَ الحسّونُ أَنْ يعرِفَ فيهِ البطلَ القويَّ «رائد الخُضَريَّ» صاحبَ التّمثالِ .

قالَ الرُّوحُ : ما لكَ أيُّها الحسّونُ المغرِّدُ ! إنّكَ غَرَّدْتَ كما لم تُغرِّدْ من قبلُ ، وكما لم يغرِّدْ قبلَكَ أَحَدٌ من أبناءِ جنسِكَ ، فلا بُدَّ أَنَّ وراءَ تغريدِكَ شيئًا لم أستطِعْ أنا أنْ أفهمَهُ .

أَجْفَلَ الحسّونُ عندما رأى الرجلَ ينتصِبُ أمامَهُ فجأةً ، ولكنَّهُ ما لبِثَ أَنْ أَنِسَ بهِ إذ سَمِعَهُ يَتكلّمُ ، فقالَ : مَنْ أنتَ أيُّها الرَّجُلُ ، كأنّي بك تُشبِهُ هذا التّمثالَ المنتصِبَ على هذا القبْرِ !

صَدَقْتَ ، أيُّها الطّائرُ الجميلُ .. أنا هو ذاكَ الرّجُلُ صاحبُ هذا التّمثالِ الّذي تُغرِّدُ أنتَ فوقَهُ منذُ حينٍ . هكذا قالَ الرُّوحُ المتجسِّدُ فقالَ الحسّونُ :

إذًا أنتَ رائدٌ الخُضَريّ البَطَلُ القَوْميُّ محرِّرُ الوَطَنِ من المستعمرِ وصانعُ مفاخرِ الأمّةِ .

نَعم .. هذا ما كانَ .. وهذا ما حفِظَهُ لي أبناءُ أمّتي فلم يضيِّعُوهُ .

قالَ الحسّونُ :

لا بُدَّ أنَّكَ سعيدٌ بذلكَ ، يا سيّدي ، فخورٌ بلَقَبِكَ هذا ، فهنيئًا لكَ ، ولكنْ ما أريدُ أن أعرفَهُ ، وما كنتُ أطلُبُهُ بغنائي ، هو أنْ تُبيِّنَ لي بوضوحٍ ماذا تَعني هذهِ الكلماتُ المكتوبةُ على شاهدةِ قبرِكَ ، إنّ معانيَها غيرُ بيِّنَةٍ لي تمامًا .

قالَ الرُّوحُ المتجسِّدُ :

أمّا أنّي سعيدٌ يا صاحبي فهذا أمرٌ نِسبيٌّ ، قد أكونُ سَعيدًا وقد لا أكونُ .

قالَ الحسّونُ :

كيفَ بِرَبِّكَ يا سيّدي .. ! ؟ لا .. لا .. بل أريدُ أوّلًا أنْ أعرفَ حكايةَ هذا الّذي من أجلِهِ مُنِحتَ هذا اللّقَبَ فصُنِعَ لكَ هذا التّمثالُ العظيمُ .

هذا الأمرُ ، يا صغيري ، مُرتَبِطٌ بذاكَ أو متولِّدٌ منهُ ـ قالَ الرُّوحُ المتجسِّدُ ـ وسأروي لكَ الحِكايةَ كلَّها .

قالَ الحسّونُ :

شُكرًا .. شُكْرًا .. يا سيّدي ، وإنّي لَمُصْغٍ لحديثِكَ بكُلِّ جوارحي . قالَ الرُّوحُ :

كانَتْ بلادُنا منذُ القِدَمِ تتمتَّعُ بحُرِّيَّتِها ، يتناوبُ على الحُكْمِ فيها وإدارةِ شُؤونِها رجالٌ منْ أهلِها مُخلِصونَ لها طيِّبونَ ، يُحِبُّونَ الشّعبَ ويحترمونَ حقُوقَهُ ، ويُوفِّرونَ لَهُ الحياةَ الكريمةَ والعيشَ الطيِّبَ ما استطاعُوا إلى ذلِكَ سبيلًا .

وأرضُنا ـ أيُّها الحَسُّونُ ـ كانَتْ أرضُنا مِعْطاءً خيِّرةً فيها ثَرَواتٌ كثيرةٌ تَفيضُ على الشَّعبِ بكُلِّ ما يَحْتاجُهُ .

ولكنْ ـ كما قيلَ في الأمثالِ ـ «ما قَتَلَ الحسناءَ إلّا جمالُها» ، هكذا بلادُنا : خيراتُها الكثيرةُ جَعَلَتِ الغُرباءَ يَطْمَعُونَ فيها ، فيغزُونَها ويَستعبِدونَ شعبَها لينهبُوا ما فيها من رِزْقٍ وثَرَواتٍ .

أَجَلْ ـ يا عزيزي ، تابعَ الرّوحُ يقولُ :

هاجَمَتْنا أقوامٌ غريبةٌ عنّا ، لا يربِطُها بنا شيءٌ سوى الطَّمَعِ في ما نملِكُ ، فسلَبَتْنا حقَّنا في حُكمِ بلادِنا ، وقيّدَتْ حُرّيّاتِنا ، وجَعَلَتْ عَلَيْنا أوصياءَ غُرَباءَ عَنّا ، وسَخَّرَتْ من أبناءِ شَعْبِنا أصحابَ النّفوسِ الضّعيفةِ

والأهواءِ المريضةِ ليكونوا عَوْنًا لها في التَّسلُّطِ على الشّعبِ ، ونَهْبِ ما جاؤوا من أجلِهِ طامعينَ بهِ .

قالَ الحسّونُ :

ـ ولكِنَّ هذا عَيْبٌ وعارٌ ، وعملٌ لا يُرضِي الله ، ولا يُرضِي الضّميرَ ، ولا يَقْبَلُهُ أحدٌ عاقلٌ ، أتَرى هذا ما تُسمّونَهُ الاستعمار ؟

ـ نَعَم ، نَعَم ، يا عزيزي ، هذا ما يُسمّونَهُ الاستعمارَ . ولذلكَ ، ومن أجلِ هذا الّذي حَصَلَ ، هبَّ شَعبُنا ، هبَّ الطيّبونَ منهُ ، وثارُوا على هؤلاءِ الغُزاةِ المستعمِرينَ الجَشِعينَ الطّامعينَ ، ليطردُوهُمْ من البلادِ ، ليخلِّصُوا الأرضَ من نَهْبِهِمْ ، والشّعبَ من ظُلْمِهِمْ .

قالَ الحسّونُ : وهل استطاعُوا ؟

ـ أجل ، استطاعُوا ، فالشّعبُ ، إذا أرادَ شيئًا ، حقّقَهُ ، ألم تسمَعْ قَوْلَ الشّاعرِ ، أبو القاسم الشابي :

إذا الشّعبُ يومًا أرادَ الحياة   فلا بُدَّ أن يستجيبَ القدرْ

لكنّ الثّمنَ كانَ غاليًا ، غاليًا جدًّا ، أيُّها الحسّونُ الطّيّبُ !

قال الحسّونُ : ما هو الثّمنُ ؟

ـ الثّمنُ ـ أيُّها الطائرُ الجميلُ ـ كانَ حياةَ شبابٍ من أَطيبِ النّاسِ ،

الكثيرونَ قُتِلُوا ـ وهذهِ قبورُهم كما ترى حوالَيْكَ ـ وآخرونَ لم يُقْتَلُوا ، ولكنّ القتلَ كانَ لَهُمْ أرحمَ.

قال الحسّونُ :

كيفَ .. كيفَ يكونُ القتلُ أرحمَ لَهُمْ ؟

قالَ الرّوحُ المتجسِّدُ :

أَجَلْ يا صغيري ! كثيرًا ما يكونُ القتلُ والموتُ أرحمَ للإنسانِ ممّا هُوَ فيهِ من عَذابٍ مُقيمٍ في الجَسَدِ ، أَوْ أَلَمٍ مُمِضٍّ في النّفسِ . الكثيرونَ أُسِرُوا ، فأذاقَهُمُ المستعمِرونَ ألوانَ العَذابِ الجَسَديِّ ، وآخرونَ لم يُؤْسَرُوا ، ولكنْ فَقَدُوا في هذهِ المعاركِ التي لا تَرْحَمُ أَعَزَّ ما عندَهُمْ في الوجودِ ، هذا مَنْ فَقَدَ بَصَرَهُ ، وذاكَ من بُتِرَتْ ساقاهُ ، وتلكَ من قُتِلَ ابنُها الوحيدُ وكانَ كُلَّ أملِها في الحياةِ ، أو فقدَتْ زوجَها وتركَها لأطفالٍ صغارٍ لا تستطيعُ أَنْ تمنعَ عَنْهُمْ غائلاتِ الزّمانِ ، ولا أن تَتْرُكَهُمْ على صِغَرِهِمْ يُقاوِمونَ عواديَ الأيّامِ . وآخرُ فقدَ صديقَهُ الّذي كانَ سَلْوَتَهُ ومالىءَ حياتِهِ ، وملاذَهُ في شِدَّتِهِ ، وأُخْرى أضاعَتِ الحبيبَ الّذي عقدَتْ عليهِ آمالَها كلَّها ، وربَطَتْ بهِ حياتَها ، ولم يعُدْ بعدَهُ لها رجاءٌ في الدُّنيا ، وهناكَ مَنْ عادَ مِنَ الجبهةِ سالمًا ليَجِدَ نفسَهُ وَحيدًا ، ماتَ عنهُ والداهُ وإخوتُهُ ، أصدقاؤهُ وأحبّاؤهُ .

الحربُ ، أيُّها الحسّونُ ، ليسَتْ غِناءً ولا تَغْريدًا ، لَيسَتْ نُزهةً ،

ولا رِحلةَ . الحربُ وَيْلٌ ودَمارٌ ، قَهْرٌ ونارٌ ، ذُلٌّ واحتقارٌ ، جوعٌ وانتظارٌ ، الحربُ لا تأكُلُ النّاسَ وحدَهم ، بل تأكُلُ كُلَّ ما يَملِكون ، تَأْكُلُ العامِلَ والمَعْمَلَ ، تأكُلُ الزرعَ والزّارعَ ، ولا تترُكُ غيرَ الفَقْرِ والجوعِ ، والحُزنِ والدّموعِ .

قالَ الحسّونُ :

أَفْزَعْتَني أيّها الرّجُلُ العظيمُ ! ولكنْ أينَ أنتَ من هذا كُلِّهِ ؟ تتألّمُ وكأنَّكَ كُنْتَ مسؤولًا عَمّا حَصَلَ .

أجابَ الرّوحُ المتجسّدُ أمامَهُ :

هُنا سِرُّ الألمِ ، يا عزيزي . يَكْمُنُ الألمُ المُبَرِّحُ في أَنْ تَعُدَّ نفسَكَ مَسؤولًا عن هذهِ الويلاتِ كُلِّها ، أَن تكونَ الآمرَ بها والمأمورَ بتنفيذِها وليسَ لكَ خِيارٌ آخَرُ . الألمُ الشديدُ يَكْمُنُ في أَنْ تقتُلَ وأنتَ لا تُحِبُّ القتلَ ، في أنْ تُرَوِّعَ الأطفالَ وأنتَ لا تُحِبُّ ترويعَهم ، في أَنْ تُحزِنَ الناسَ وأَنْتَ تَسعَى لإسعادِهم . هُنا .. هُنا الحربُ الحقيقيّةُ ، هُنا هنا العَذابُ المقيمُ - هكذا كانَ الرّوحُ المتجسّدُ يقولُ ويُشيرُ بيدِهِ إلى صدرِهِ - هنا الصِّراعُ الذي لا يَرْحَمُ ، الصِّراعُ بينَ الواجبِ المُلْقى عليكَ ، وأنتَ القائدُ المسؤولُ من طَرَفٍ ، وهذا الّذي لا تُريدُ أن تفعلَهُ لأنّهُ يؤلِمُكَ من طَرَفٍ آخَرَ .

- أَوَ كُنتَ الآمرَ بهذا كلِّهِ ؟ أَوَ كُنتَ المسؤولَ عمّا حَصَلَ ؟ قالَ

الحسّونُ .

- أجل - قالَ الرّوحُ الذي كانَ القائدَ العسكريَّ الأوّلَ لهذهِ الحربِ التي أعلنَها الشّعبُ على المستعمِرِ الغاضِبِ - أجلْ كُنْتُ مَسؤولًا ، ولم أكُنْ أَستطيعُ أَنْ أكونَ غيرَ ذلكَ ، لقد اختارَني الشّعبُ قائدًا عَسكَرِيًّا لقوّاتِهِ ، فكُنْتُ الآمرَ النّاهيَ في جبهةِ القتالِ .. ولم أَكُنْ أَستطيعُ أن أَفْعَلَ غيرَ ما فَعَلْتُ لأُحقِّقَ النّصرَ على الأعداءِ الغاصبين فنطردَهُمْ من أرضِ الوَطَنِ الحبيبِ . وَتَحَقَّقَ النّصرُ ، وخرجَ الغاصِبُ ، وتحرّرَ الوطنُ ، ولكنْ كانَ الثّمَنُ غاليًا ، كانَ الثّمنُ تلكَ الويلاتِ التي ذَكَرْتُها لكَ . وَبَقِيتُ أنا أتألّمُ لهذهِ الضّحايا الّتي قدَّمْتُها بِيَدَيَّ وَقُودًا لنارِ الحُرِيَّةِ الّتي أشعلْناها على أرضِنا .

كانَ الحسّونُ يُصْغي ، ويتألَّمُ ، يسكُبُ الدّموعَ أحيانًا ، ويُكَفْكِفُها أحيانًا ، وكلّما همَّ الرّوحُ أن يسكُتَ وَيَنْصَرِفَ ، استوقَفَهُ وطَلَبَ إليه أَنْ يُتابعَ .

وتابعَ الرّوحُ المتجسّدُ حديثَهُ ، قالَ :

سأروي لكَ طَرَفًا من هذا الصِّراعِ الّذي أُعانيهِ في صَدري .

كانَ لي ثلاثةُ أصدقاءَ من ضُبّاطِ الجيشِ تحتَ إمرتي ، كُنْتُ أُحِبُّهم حُبًّا كبيرًا مَلَكَ عليَّ أحاسيسي ، حتى إنّي أصبحتُ لا أرى حياتي تعني شيئًا بغيرِهم . ثمَّ صَدَرَتْ أوامري ، الّتي لم يَكُنْ في

الإمكانِ أن لا تصدُرَ ، بأنْ يكونوا رأسَ الحربةِ في جبهةِ القِتالِ ، نَفَّذَ أصدقائي الأَوامرَ . ولكنْ ، ماذا حَصَلَ ؟

قال الحسّونُ :

هل قُتِلوا ؟

قالَ القائدُ :

ليسَ هذا ما قد حَصَلَ .. ثم سَكَتَ والغُصَصُ في الحَلْقِ تَكادُ تخنُقُهُ .

ـ ماذا إذًا ؟

ـ لَقَدْ وقعَ اثنانِ أسيرَيْنِ بأيدي الأَعداءِ ، وعادَ الثّالثُ بعدَ أَنْ فقَدَ بَصَرَهُ ، وكانَ يَدِيَ اليُمْنى في القِيادةِ .

ـ ماذا ! أليسَتْ هي الحَرْبُ ؟ وأنتَ تعرِفُ ويلاتِها قَبْلَ وُقوعِها ؟

ـ بلى .. هي الحَرْبُ .. وويلاتُها مَحسُوبةٌ .. مَعْروفةٌ .. مُتَوَقَّعةٌ .. ولكن .. هل يُرضي النّفسَ .. هل يُريحُها .. أنَّ كلَّ شيءٍ مُقدَّرٌ ومحسوبٌ ؟

لا .. لا ، يا عزيزي . وليتَ الأمرَ انتهى عندَ هذا الحَدِّ من الآلامِ .

ـ ماذا أيضًا ؟

قالَ القائد :

كانَ لدى كُلٍّ مِنَ الطَّرَفَيْنِ أسرى من ضُبّاطِ الطَّرَفِ الآخرِ

وجنودِهِ ، فجعَلْتُ الأَسرى بإمرةِ «عَدنانَ» صديقي ونائبي الّذي أَصبحَ أعمى ، وقُلْتُ هي أسهلُ مَهمّةٍ يستطيعُها ، ولم أكنْ أريدُ تنحيتَهُ رَحْمَةً بمشاعرِهِ ، وقد قامَ بالمَهمَّةِ خيرَ قِيامٍ ، ولكنَّ ما جرى لم يَكُنْ في الحُسْبانِ .

كان بينَ الأَسرى شابٌّ وَسيمٌ ، طيِّبُ الرُّوحِ ، صافي النَّفْسِ ، عالي الأخلاقِ ، يتمتّعُ بصفاتِ الفُروسيّةِ والنَّبالةِ إلى حَدٍّ دعا صديقي «عدنان» راغمًا أو مُختارًا أن يعقِدَ معَهُ صَداقةً حَميمةً ، صَداقةً كانَتْ نفسُ كلٍّ منَ الرّجُلَيْنِ بحاجةٍ إليها . واحدٌ أَعمى تَطْلُبُ نفسُهُ النّورَ فوجدَتْهُ في رَجُلٍ قَريبٍ منهُ فتعلّقَتْ به ، وآخرُ أسيرٌ غريبٌ يُوحِشُهُ البُعدُ عن الأهلِ والوطنِ والأحبابِ ، فوجدَ الأُنسَ في رَجُلٍ مسؤولٍ عنهُ فارتبطَ بِهِ .

تنامَتْ هذه الصّداقةُ مَعَ الأيّامِ ، ووَثِقَ كلٌّ منهُما بالآخرِ ، صديقي الأعمى وَثِقَ بأسيرِهِ «جمالٍ» حتى إنّهُ تركَهُ لحِراسةِ نفسِهِ فأطلقَ سَراحَهُ ليتجوّلَ ويذهَبَ ويعودَ على هواهُ بعدَ أَنْ أخذَ عليهِ عَهْدًا بأنْ لا يهرُبَ إلى قومِهِ . وكانَ «جمالٌ» مَوضِعًا لهذه الثِّقةِ ، ولكنَّ الأمرَ لم يَنْتهِ عندَ هذا الحَدِّ ، فالأمورُ كانَتْ تزدادُ تَعَقُّدًا وتشابُكًا يومًا بعد يومٍ .

أَحَبَّ الشّابُّ الأسيرُ فتاةً طيِّبةً جميلةً هي ابنةُ أخٍ لصديقي ونائبي الأعمى ، وكانَتْ قد فقدَتْ أباها في هذهِ الحربِ التي فرضَها

المغتصِبُ علينا فصارَ عمُّها مَوضِعَ أبيها ، ورَعاها رِعايَةً فيها المحبَّةُ تمتزِجُ بالعطفِ والشَّفَقَةِ فغدَتْ هيَ والشّابُّ الّذي أَحبَّها وأحبَّتْهُ مَوضِعَ اهتمامِ الضّابطِ صديقي ورِعايتِهِ ، وصارَ همُّهُ منصرفًا لتنْمِيةِ هذا الحُبِّ بينَ الشابَّيْنِ وللسّيرِ بهِ قُدُمًا نحوَ الزّواجِ ، هذا الرابطِ المقدّسِ الّذي لم يَكُنْ لهُ أنْ يَتَحقَّقَ إلّا إذا انتهتِ الحربُ وأصبحَ الشّابُّ حُرًّا طليقًا .

كانتِ الأَيّامُ تَمضي وهذا الحُبُّ بينَ الشابَّيْنِ ينمو ويزدادُ رُسُوخًا ، لكنَّ الحربَ كانَتْ هِيَ الأخرى بدورِها تَزْدادُ اضطرامًا ، والمتحاربونَ يَزْدادُونَ حِقدًا . وفي يومٍ كانَ مَشْؤُومًا ، حَمَلَتْ أجهزةُ المخابراتِ أنباءً تُفيدُ أنَّ الأعداءَ أعدَمُوا ثلاثةً من ضُبّاطِ المقاومةِ الوطنيّةِ ، من أُولئكَ الّذين كانوا قد وَقَعُوا في الأَسْرِ عندَهُمْ ، وكانَ من هَؤُلاءِ الثّلاثةِ صديقاي اللّذانِ كانا قد أُسِرا ، فاشتعلَ صَدري غَيظًا ، وامتلأَ قلبي حُزنًا عليهِما وحِقدًا على أولئكَ الذينَ خَرَقُوا الحقوقَ الإنسانيّةَ في مُعاملةِ الأسرى ، وتمنَّيْتُ لو كُنْتُ لَهَبًا أُحْرِقُ به الأَعداءَ حَرْقًا . ثمَّ جاءَتْ أوامرُ مَجْلِسِ الشّورى الأعلى بإعدامِ ثلاثةٍ مِنَ الأَسرى عندَنا انتقامًا لضُبّاطِنا الذينَ غُدِرُوا ، وكان عندَنا أسماءٌ في قائمةٍ يتجاوزُ عَدَدُ الضُّبّاطِ فيها الثّلاثينَ ضابطًا مِمَّنْ وقعُوا في أَيْدينا .

سَكَتَ الرّوحُ المتجسِّدُ قليلًا ، وَتَنَفَّسَ عَميقًا ، ثُمَّ أردَفَ يقولُ : كانَ علينا أن نختارَ ثلاثةً ، ولكنْ كيفَ ؟ هؤلاءِ الأسرى لا ذَنْبَ

لهُمْ . هُمْ شَبابٌ حُمِلُوا ككُلِّ المحاربينَ أو أكثرِهِمْ على الحَرْبِ حَمْلًا تَلبيةً لِنداءِ الطَّمَعِ لدى الفئةِ الّتي تحكُمُ بلادَ أعدائِنا . مَنْ نَخْتارُ منهُمْ للموتِ ؟ إنّه الخِيارُ الصَّعْبُ ، الرَّغبةُ في الانتقامِ لرفاقِنا تدفعُنا للقَتْلِ ، والأوامرُ العُليا هي أيضًا بدورِها تدفعُنا للقتلِ ، والقلوبُ الرّحيمةُ بينَ أضلاعِنا تقولُ : لا .. تقولُ : لا تَقْتُلُوا هؤلاءِ، إنّهُمْ أَبرياءُ .

تَأَمَّلْ معي ، يا صديقي الحسّونَ ! تأمَّلْ معي هذا الصِّراعَ العنيفَ الذي جَعَلَ مِنَ القلْبِ ساحةً لهُ ، هذا الصّراعَ بين الواجبِ الوطنيِّ من طَرَفٍ ، والعواطفِ الإنسانيّةِ من طَرَفٍ آخرَ .

قالَ الحسّونُ :

إذًا هذا الّذي كانَ يَجعلُكَ لا تُحِسُّ بالسّعادةِ التي نَفْتَرِضُها فيكَ .

أَجَلْ يا صديقي ـ قال القائدُ العسكريُّ الّذي أصبحَ روحًا متجسِّدًا أمامَ الحسّونِ .

ولكن اسمعِ الحِكايَةَ إلى آخرِها .

ماذا بعدُ أيّها القائدُ العظيمُ ؟ ومن اخترتُمْ للمَوْتِ ؟

قالَ القائدُ :

قُلْتُ لصديقي الّذي لم تَرُقْ له هذهِ الأوامرُ العَسْكَرِيَّةُ ، خصوصًا بعدَ أنْ رقَّقَ العمى مشاعرَهُ ، وأرهفَ أحاسيسَهُ الحُبُّ الذي عَرَفَهُ بينَ المحبَّيْنَ متجسِّدًا في شخصَيْ صديقِهِ الضّابطِ الأسيرِ المُمْتَلِيءِ طيبةً

وإنسانيّةٌ ، وابنةِ أخيهِ الفتاةِ الرّقيقةِ النّاعمةِ الّتي هِيَ في حُسْبانِهِ ابنةٌ لهُ .

قُلْتُ لصَديقي هذا الّذي أَعْمَتِ الحَرْبُ عينَيْهِ ووسّعَتْ انسانيّتَهُ : خُذْ هذا المِسمارَ وضَعْ رأسَهُ فوقَ هذهِ الأسماءِ في هذهِ القائمةِ ، ومَن وَقَعَ رأسُ المِسمارِ على اسمِهِ كانَ المحكومَ عليهِ بالإعدامِ ، فنكونُ قد تَرَكْنا بذلكَ الأمرَ للقدَرِ الأعمى وخلَّصْنا أنفسَنا من عَناءِ الاختيارِ وآلامِهِ .

لم تَرُقِ الفِكرةُ كثيرًا لصَديقي ، ولكنْ كانَ لا بُدَّ لهُ من ذلكَ ما دامَ ليسَ باليدِ وسيلةٌ أفضلُ من هذهِ .

قالَ الحسّونُ :

وهل كانَ في القائمةِ اسمُ الضّابطِ الّذي أَحَبَّهُ صديقُكَ وعَقَدَ النيّةَ على تزويجِه بابنةِ أخيه .

ـ نَعَم .. نَعَم .. هُوَ كذلِكَ .. في القائمةِ أسماءُ جميعِ الضُّبّاطِ .

ـ إذًا كان عليكُمْ أَنْ تَمحُوا اسمَهُ من القائمةِ خَشيةَ أن يَقَعَ رأسُ المِسمارِ عليهِ فيكونَ بهِ موتُهُ .

ـ لا .. أيُّها الحسّونُ الطيِّبُ . أنسِيتَ الأَسماءَ الأخرى ونِسْبةَ حَظِّها من وُقوعِ المِسمارِ عَلَيها ؟ أفلا تَعْلَمُ أَنَّكَ في مِثلِ هذه الحالِ إذا نجَّيتَ واحدًا منَ الموتِ أوقعْتَ آخرَ فيهِ ؟ وأنّ هذا لا يُرضي العَدالةَ ولا يُحقِّقُ الإنسانيّةَ ؟

ـ وإذا وَقَعَ المِسمارُ على صاحِبنا .. هل تَقْتُلُهُ؟

ـ هذا ما حَصَلَ يا صاحبي .. لقد ساقَ القَدَرُ رأسَ المِسمارِ إلى اسمِ صاحِبنا فوقَعَ عليهِ .

ـ لكنَّ هذا شيءٌ كثيرٌ يُمَزِّقُ قلوبًا كثيرةً . ماذا فَعَلْتُم بَعْدُ ؟

قالَ القائدُ :

وقفَ صَديقي واجمًا كأنّما قد أسكتَتْهُ ساكتةٌ ، أو أصابَهُ إغماءٌ ، أو انتابَهُ شَلَلٌ ، وراحَ بعدَ حينٍ يصرُخُ ويقولُ: لا .. لا .. هذا ظُلْمٌ .. هذه قَسْوةٌ .. أينَ رَحْمةُ الله .. ؟ أينَ .. ؟

ولم يكُنْ أَلَمي بأقلَّ من ألمِهِ .. ولكنّي القائدُ ، وفي مَكانِ المسؤوليّةِ ، وعليَّ أن أُنَفِّذَ الأوامرَ ، وعليَّ أن أكونَ حازمًا ، وعليَّ أن أكونَ عادلًا .. وأخيرًا أَنا إنسانٌ .. ومن حَقّي أن أكونَ إنسانًا ..

قال الحسّونُ :

كيفَ تَصَرَّفْتَ أيُّها القائدُ ؟

أخذْتُ مُسَدّسي ، وكانَ محشوًّا بطَلَقاتٍ كثيرةٍ وَمَدَدْتُهُ إلى صَديقي وقُلْتُ لَهُ : خُذْ هذا وأطلِقْ حشوتَهُ عليَّ وخلّصْني من هذهِ الآلامِ ، فتُصبِحَ بعدي القائدَ الأوّلَ فتتصرّفَ على هواكَ . وكُنْتُ صادِقًا في هذا .

بكى صديقي ، وحَمَلَ عصاهُ وانصرفَ يَستَهدي بها طريقَهُ ، وهو ما زالَ يردّدُ ويقولُ : هذا كثيرٌ .. هذا ظُلْمٌ .. هذهِ قَسْوَةٌ ..

صديقي .. ابنتي ... عيناي .. لا .. لا .. هذا كثيرٌ .. هذا كثيرٌ ..

وبعدُ ، ماذا جرى أيُّها القائِدُ ؟ قالَ الحسّونُ . فأجابَهُ القائدُ :

كانَ الوقتُ صباحًا ، وصدَرَتْ أوامري بتنفيذِ حُكمِ الإعدامِ في السّاعةِ الثامنةِ من صباحِ اليومِ التّالي ، وذهبْتُ إلى الجبهةِ لتفقُّدِ جنودِنا في صُفوفِ النّارِ على أن أعودَ صباحًا في السّاعةِ السّادسةِ . استسنحَ صاحبي هذهِ الفُرصةَ ، وَدَبَّرَ أمورَهُ ليُهرِّبَ صديقَهُ ليلًا في القِطارِ الّذي يَمُرُّ في ساعةٍ متأخّرةٍ منَ اللّيلِ ، دَبَّرَ أمورَهُ كُلَّها وبالطريقةِ الّتي تَجْعَلُ القِطارَ يتوقّفُ ليَقْفِزَ إليهِ الضّابطُ الأسيرُ الّذي كانَتْ تنتظِرُهُ خطيبَتُهُ داخلَ القطارِ بَعْدَ أنْ أغرَتْ قائدَهُ بالوقوفِ في مكانٍ مُعيَّنٍ .

هل توقَّفَ القطارُ ـ قال الحسّونُ ـ هل هربَ الحبيبانِ ؟ هل نجا صاحبُنا من الموتِ ؟

قالَ القائدُ الرّوحُ المتجسّدُ :

توقّفَ القِطارُ .. لكنَّ صاحبَنا كانَتْ قد توقَّفَتْ فيهِ دفقةُ الحياةِ مَعَ الرّصاصاتِ التي اخترقَتْ قلبَهُ المُحِبَّ في السّاعةِ الرّابعةِ صَباحًا مَوعِدِ توقُّفِ القطارِ تمامًا .

ـ كيفَ حَصَلَ ذلك ؟ وموعِدُ الإعدامِ في السّاعةِ الثّامنةِ ، وأنتَ في جبهةِ القتالِ تتفقّدُ صفوفَ النّارِ ؟

ـ الرّحمةُ التي أردْتُها لصديقي «عدنانَ» هي الّتي قَتَلَتْ صديقَه

«جمالًا» من حيثُ لا أدري ولا أَحْتَسِبُ .

ـ كيفَ كانَ ذلكَ ؟

ـ أردْتُ أن أُجَنِّبَ صديقي ساعةَ الإعدامِ ، فَقُلْتُ في نفسي : أعودُ مبكِّرًا وأُنَفِّذُ حُكمَ الإعدامِ ليلًا من دونِ أن يَعْلَمَ هُوَ بذلكَ ، وكانَ ما عَرَفْتَ ، قُتِلَ الضّابطُ النّبيلُ بدون جريرةٍ ارتكبَها ، ورُوِّعَتِ الفتاةُ الرّقيقةُ التي كانَتْ تنتظِرُهُ في القِطارِ فقفزَتْ منهُ وماتَتْ .

ـ وصديقُكَ ؟

ـ صديقي أعمى يجوبُ الشّوارعَ والطُّرُقاتِ .. والناسُ يَرَوْنَهُ ويقولونَ أرأيتمْ هذا المَعْتوهَ .. كان ضابطًا من ضُبّاطِ التّحرير .. كانَ قائدًا عظيمًا .. ولكنّها الحَرْبُ .. تأمّلوا ما فعلَتِ الحَرْبُ .

سكتَ الحسّونُ وانسلَّ من بينِ الأغصانِ وهَجَرَ هذِهِ الخميلةَ ولم يَعُدْ إليها .

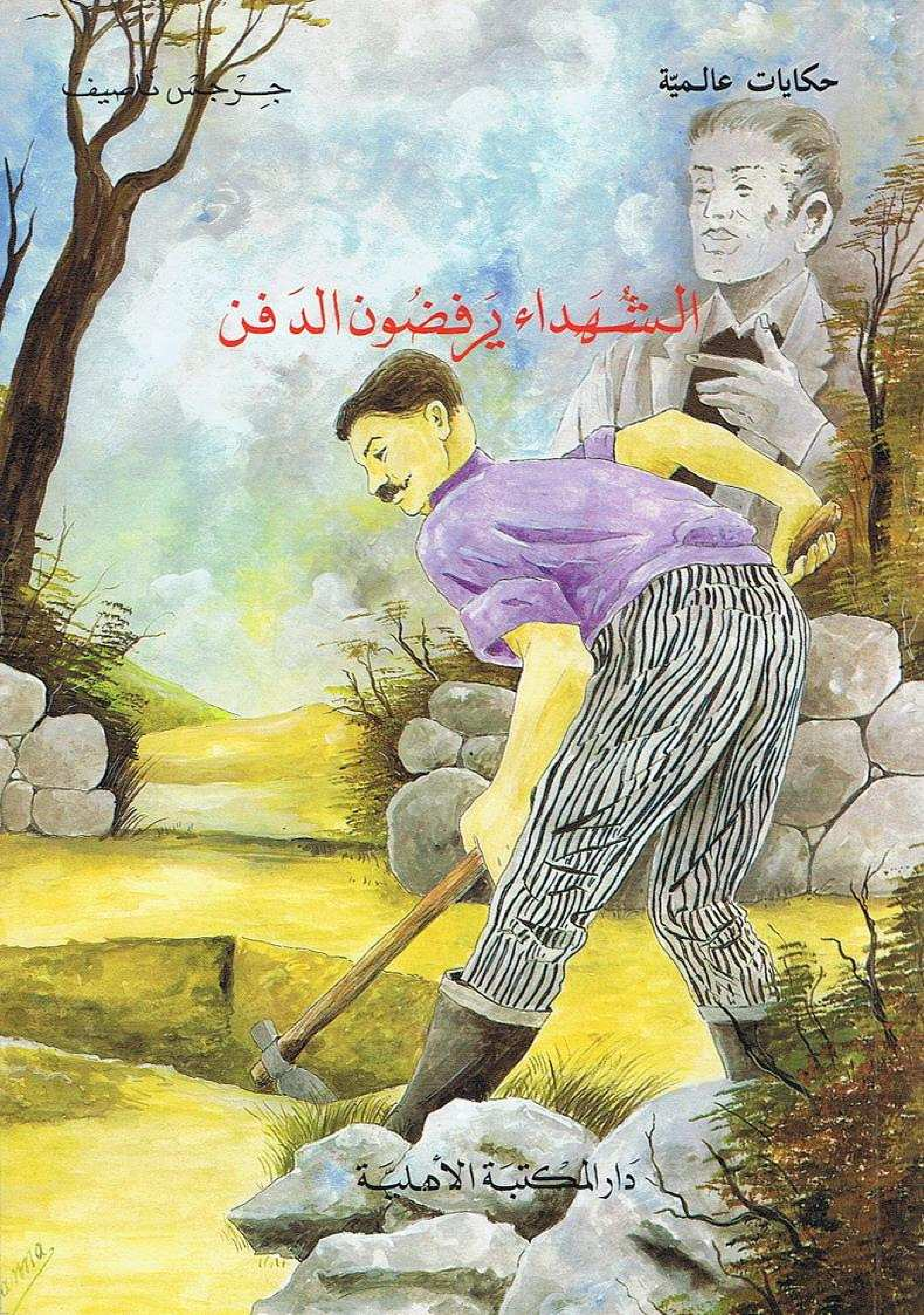
أ في فهم القصّة والتعبير

١. لماذا تجمّعتِ الأرواحُ حولَ الحسّونِ المغرِّدِ ؟
٢. ماذا كان يريدُ الحسّونُ أن يعرفَ ؟
٣. أترى أنّ الموتَ يمكنُ أن يكونَ أرحمَ من آلامٍ أخرى ؟ ما هي هذهِ الآلامُ ؟
٤. عدِّدْ بعضَ ويلاتِ الحربِ .
٥. لماذا كانَ «رائدُ الخُضَريّ» يتألّمُ هذا الألمَ الكبيرَ كلَّهُ ؟
٦. ما الذي دفعَهُ الشّعبُ ثمنًا للحريّةِ ؟
٧. لماذا صدرَتِ الأوامرُ بإعدامِ ثلاثةٍ من الضُّبّاطِ الأسرى ؟
٨. هل كانَ القائدُ راضيًا عن هذا الإجراءِ ؟ ولماذا ؟ .
٩. لماذا لم تنجحْ خُطّةُ هروبِ «جمالٍ» معَ خطيبتِهِ في القطارِ ؟
١٠. كيف كانَتْ نهايةُ «جمالٍ» ، الفتاة ، «عدنان» ؟
١١. ماذا يعني هذا المثلُ «ما قَتَلَ الحسناءَ إلّا جمالُها» ؟ ولأيِّ دلالةٍ استخدمَهُ الكاتبُ ؟
١٢. ماذا قال الشّاعر لِيُبيِّنَ أنّ الشُّعوبَ التي تُناضلُ من أجلِ حياتِها الكريمةِ لا بُدَّ لها من النّصرِ ؟

ب في اللُّغة

١. اجمع الحروف المشبّهة بالفعل من القصّة ودلَّ على اسمها وخبرها .
٢. استخرج المبتدأ ـ في القصة كلّها ـ واذكر خبرَه .
٣. في القصة فعل من الأفعال الخمسة مجزوم . أشر إليه وأَعربه .
٤. أشرْ إلى جمع المذكّر السّالم حيثما وُجِدَ ، واذكر علامة إعرابه والسبب .
٥. في القصة تعبير قائم على السجع . حدِّدْه واذكر أثره.
٦. في القصة بيت شعر شهير . قطّعْه عروضيًّا وسمِّ بحره .
٧. استخرج من القصَّة كلَّ فعل مجهول ، واذكر نائب فاعله .

الفهرس



حكايات عالميّة

جِرجس ناصيف

الشُهَداء يَرفضُون الدَفن

دار المكتبة الأهليّة